حرب المخابرات



جابر عبد السلام

دار النشر هاتييه

جابر عبد السلام هلال

حرب المخابرات

دار النشر هاتييه

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

صدق الله العظيم

إلى شهداء حرب ٤٨

وحرب ٥٦ وحرب الاستنزاف ٦٨ - ٦٩ - ٧٠

وحرب ٦٧

وحرب ٧٣ وإلى رجال المخابرات العامة الأبطال

وإلى روح ابنى الطفل خالد (الفاتحة)

أهدى هذا العمل

صاروخان فى رأس رابين

بعد هزيمة الجيش المصرى فى الخامس من يونية عام ١٩٦٧ أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن الحرب لن تنتهى بيننا وبين العدو الإسرائيلى بانتصاره المؤقت على قواتنا، فى تلك الجولة الخاطفة، ولكن ما تزال بيننا وبينه جولات وجولات سيكون فيها النصر حليفنا بإذن الله.

فنحن لن نيأس ولن نستكين ، وسنظل صامدين صابرين، وقد خرجنا من تلك النكسة التى حلت بنا بدروس مستفادة تمكننا إن شاء الله من خوض جولة قادمة سنلقن فيها العدو العنيد درسا لن ينساه فى حياته إن كانت ستبقى له حياة بعدها . لقد استطعنا أن نجمع شملنا مرة أخرى ، وأن نعد العدة الكاملة ، ولم يكن ذلك إلا بعزيمة صلبة وإرادة حديدية وإصرار مكين، فنحن قوم نؤمن بالله وبالوطن وبقضيتنا التاريخية العادلة ، وما دام الإيمان هو سندنا وقوتنا التى نعتمد عليها مستعينين بالله فى كل خطوة من خطوات جهادنا، فلن نهزم أبدا . وأعلن الزعيم الراحل بدء حرب الاستنزاف أعوام ٦٨، ٦٩-٧٠ بيننا وبين العدو تأكيدا لاستمرارنا فى الجهاد وإصرارنا على درء الهزيمة بالنصر ، وأطلق صيحته الشهيرة «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة».. وصارت هذه الصيحة شعارا يحمله كل مصرى ، ومبدأ يعتنقه كل جندى فى قواتنا المسلحة فى الميدان .

وبعد أن انتهى الرئيس الراحل من خطابه الشهير الذى شحذ به عزائم الأمة من جديد، وبث به الأمل فى النفوس ، وجعل القلوب. متطلعة إلى غد أكرم.. ذهب على الفور إلى حجرة العمليات بقاعدة الصواريخ العربية . واجتمع مع قادة القوات المسلحة وضباط قاعدة الصواريخ قائلا : إننا ما زلنا متمسكين بحقنا الشرعى ، وما زلنا نملك القوة على ردع العدو، فنحن لدينا من الأسلحة ما يمكننا به أن نكسر شوكته ، وعندنا من الصواريخ المصرية ما يكفى لتدميره، فقد صنعنا كما تعلمون صاروخى الظافر والقاهر بأيد مصرية وبتصميم مصرى. ولن نستخدمهما إلا فى اللحظة الحرجة ، ولكن يمكننا بهما إرهاب العدو وتخويفه ونشر الرعب فى نفوس قادته وجنوده أثناء حرب الاستنزاف التى بدأنا فى خوضها والله معنا. وقد أمرت بإجراء بعض التجارب الميدانية لاستخدام هذين الصاروخين ، تأكيدا لصلاحيتهما وفعاليتهما، وحفزا لجنودنا على القتال والقيام بعمليات حرب الاستنزاف وهم فى روح معنوية عالية، لإحساسهم بأنهم يمتلكون قوة لا يستهان بها فى قتالنا، وفى نفس الوقت ستفيدنا هذه التجارب فى بث الرعب فى نفوس العدو المتطلع إلى اكتشاف سر الصاروخين ، كل ذلك استعدادا للمعركة الفاصلة إن شاء الله ، وفى هذه الأثناء يدخل قائد قاعدة الصواريخ العربية وهو برتبة لواء أركان حرب ويقدم التحية العسكرية للرئيس ويقول له :

الصاروخ جاهز للانطلاق يا سيادة الرئيس .

توجه السيد الرئيس ومعه كبار رجال القوات المسلحة إلى ساحة القاعدة بدءا فى الاحتفال بإطلاق الصاروخ الظافر .. يصل الرئيس إلى منصة الاحتفال ويصطف حوله وخلفه القادة العسكريون.. ويصدر قائد القاعدة أوامره بإطلاق الصاروخ.. ووسط هتاف القادة وتصفيقهم ينطلق الصاروخ فى تمام الساعة الثانية من بعد الظهر .. مدوياً فى عنان السماء... مخلفا وراءه سحبا كثيفة من الدخان وألسنة ممتدة من النيران .. ويأخذ رجال القوات المسلحة فى تهنئة الرئيس بنجاح التجربة.. وبنجاح المشروع العسكرى التكتيكى الذى اشتركت فيه جميع أسلحة القوات المقاتلة .. كانت المخابرات العسكرية الإسرائيلية بالمرصاد لهذه التجربة .. وعلمت إسرائيل بنجاحها فأثار ذلك الرعب فى نفوس قادتها .. كان رابين وجولدمان فى تلك الأثناء يجلسان فى إحدى غرف العمليات يشاهدان عن طريق أحد الأقمار الصناعية الأمريكية ما ينقله لهما التليفزيون الإسرائيلى عن طريق قناة فضائية سرية خاصة بقواتهم المسلحة .. وكان أهم ما نقله لهما التليفزيون هو ذلك المشروع التكتيكى العسكرى الذى تم فيه الاحتفال بإطلاق صاروخ الظافر المصرى .. فظهرت على وجهيهما علامات الحقد والحنق .. وبدا فى وجه رابين القلق وخيبة الأمل.. فثار غاضبا فى وجه جولدمان :

رابين ـ إلى متى سننتظر ؟!

جولدمان ـ لن ننتظر طويلا !

رابين (ساخرا) : كيف ؟ وقد فشلت أنت وحاييم فى اختطافه وفى معرفة أسرار الصواريخ المصرية !

جولدمان :ـ نحن نعمل بجد ليل نهار.. وسنصل قريبا إلى ما نريد

رابين فى غضب :ـ لقد أنهى مهمته .. ووصل الآن إلى جنيف .. وسوف يعود إلى مصر سالما غانما وأنتم نائمون تغطون فى نومكم.

جولدمان :ـ جنرال رابين .. لا ينبغى أن تنكر جهودنا !

رابين : أتنكر أنكم فشلتم ؟!

جولد مان فى ثقة وتحد : لم نفشل ولن نفشل يا سيد رابين !

رابين (تهدئة للموقف) : أنا أعرف أمجادك العظيمة يا جولدمان.. ولكن ليست فى عملية جابر هلال.. أليس كذلك ؟!

جولدمان فى شبه إحباط نفس : أنت الذى طلبت تكليف الشرقيين فى العملية .. وحاييم أنت الذى جعلته مسئولا مسئولية كاملة عن العملية .

رابين ثائرا : ونحن فى غرفة عمليات المخابرات هذه شاهدنا ذلك التحدى المصرى بإطلاق الصاروخ الظافر .. فما الحل ؟

يسمع رابين وجولدمان دقات طرق على باب الغرفة .. فيسمح رابين للطارق بالدخول .. وإذا به حاييم المكلف بعملية جابر هلال.. يدخل حاييم ووجهه متهلل الأسارير ..

فتبدو الغيرة على وجه جولد مان .. ويتمتم رابين ساخراً : حاييم ! أهلا بالسيد حاييم ! هل جئت بالذئب من ذيله يا حاييم وأنت متهلل الوجه هكذا ؟

ثم ينتفض فى مكانه ويلقى بسؤاله فى حدة وغضب كأنه القنبلة فى وجه حاييم : أين جابر هلال ؟

فيرد حاييم فى هدوء الواثق : على الطائرة التى قامت من چنيف إلى مصر .

فيصاب رابين بنوبة يأس قاتل جعلته يصرخ صرخة من لدغته عقرب مباغتة .

ويردد قائلا فى هستيرية :

يعنى هذا أنكم فشلتم تماماً! أنكم فشلتم تماماً !

فشلتم تماماً !

ويوجه جولدمان كلامه إلى حاييم فى حسرة وشماتة معاً :

يا للغباء! يا للغباء !

ولكن حاييم يتماسك تماسك المشفق فى حلم وصبر، ويلتفت إلى جولدمان قائلا : العفو يا مستر جولدمان العفو !

ثم يوجه حديثه إلى رابين ليخرجه من حالته الهستيرية مؤكدا له : بعد ساعات قليلة سوف أقدم لك جابر هلال وقد انفكت صواميل عقله .. ليكتب لك عن الصواريخ المصرية ذات الرءوس الذرية .. النووية وعن أماكنها من البحر الأحمر حتى السلوم.

يتوقف الجميع فى لحظة صمت رهيب.. وقد علا وجوههم العجب، واستغرقتهم الدهشة حتى ألجمتهم عن النطق وعقدت ألسنة الغضب فى نفوسهم، وانقلبت فورهم الساخنة إلى جمود كجمود الثلج.. فبهتت أوجههم واصطبغت بلون البياض بعد حمرة داكنة

فجأة ولكن رابين حاول أن يفيق من تلك الإغماءة المباغتة ...
واستطاع أن ينهض من على مقعده فى تثاقل ويخطو خطوات بطيئة
موليا ظهره إلى حاييم .. ثم يقول فى برود الكاظم غيظه :

كيف يا سيد حاييم ؟ إذا كان المتحدث مجنونا فالمستمع عاقل! قل
لى بالله عليك .. كيف ستخطف مسافراً وهو فى الطائرة الآن إلى
بلده ؟!

حاييم فى لهجة الواثق المطمئن :ـ جابر لن يصل إلى مصر ..
لأن طيارته سوف تنزل فى قبرص وليس فى القاهرة .

جولدمان فى ضيق: كيف سيتم ذلك يا حاييم ؟

حاييم مبتسما فى انتصار :ـ ستهبط الطائرة هبوطا اضطرارياً ..
بسبب عطل فى الطائرة.. أو لظروف جوية سيئة .. مثلا .

جولدمان فى تعجب وسخرية : وكيف سيتم تعطيل الطائرة ؟ ومن
الذى سيقوم بتعطيلها؟

أم أنكم ستخاطبون الجو أو تحرضون الجن والعفاريت لتجعل ظروفه
سيئة فتهبط الطائرة اضطرارياً !

حاييم متجاهلا جولدمان وموجها كلامه إلى رابين :

يا سيد رابين لقد اتفقنا مع الطيار على ذلك ..

رابين : عظيم ! عظيم ! وكم ستدفعون له ؟

حاييم : نحن دفعنا له وانتهى الاتفاق !

جولدمان : وكم دفعتم له ؟

حاييم : دفعنا للطيار مليون دولار . حتى اقتنع ووافق على أداء العملية .. وسوف يهبط فى قبرص .

رابين : مليون دولار مرة واحدة ! أليس هذا خسارة ؟!

جولدمان : بالطبع خسارة كبيرة !

حاييم : نحن تربينا فى البلاد العربية .. ونعرفها جيدا يا مستر جولد مان.

رابين : على كل حال فجابر هو المهم .. جابر هو المهم !

* * *

فى مطار قبرص الدولى

فى صالة الترانزيت بمطار قبرص يجلس جابر هلال إلى إحدى الموائد محتضنا حقيبته السوداء وكان قد ربطها فى يده اليسرى بسلسلة حديدية ستانلستيل على هيئة كلبشات، وذلك لشدة حرصه على الحقيبة .

وبينما هو جالس فى صمته وقلقه وشروده ..

وصالة المطار تعج بالمسافرين ذهابا وإيابا . من كل جنس ولون.. يفاجأ بصوت مذيعة المطار القبرصية خلال مكبر الصوت تردد اسمه وتدعوه إلى مركز استعلامات المطار.. باللغة الإنجليزية فى لكنة قبرصية..

لقد أصابت الدهشة جابر هلال .. وازداد قلقه وخوفه .. وانتابته الحيرة والتردد .. لماذا يدعى هو بالذات إلى مركز الاستعلامات ؟ ومن الذى ينتظره هناك ؟

أيذهب .. أم يتأخر ويتريث .. أم يتجاهل الأمر ؟

ولكنه يسمع صوت المذيعة وهى تتابع النداء عليه ودعوته العاجلة.. مسافر الترانزيت مستر جابر هلال مدعو للتوجه فورا إلى مركز استعلامات الترانزيت ..

وبدون شعور يجد جابر نفسه ينهض باحثا عن مكتب الاستعلامات. وكأنه فى حالة استسلام تام .. لما ينتظره هناك من مصير .. ويفاجأ

مرة أخرى بمضيفة لإحدى شركات الطيران البريطانية .. تقطع عليه خطواته المتثاقلة .. وتتقدم نحوه .. محيية إياه .

وتسأله بالإنجليزية : مستر هلال ؟ فيرد عليها : نعم أنا مستر جابر هلال ! فتشير المضيفة له بمصاحبتها إلى مكتب المطار .

وتقوده المضيفة إلى أحد المكاتب بمطار قبرص الدولى، بدلا من أن تصحبه إلى مركز الاستعلامات ... يدخل جابر حذراً فيجد المكان غرفة بسيطة بها مكتب أمامه مقعدان .. وعلى المكتب هاتف (جهاز تليفون) وملفات .. وحقنة جاهزه فوق صندوق معدنى .. وبجوار المكتب آلة كاتبة .. ولكنه يفاجأ بصديقه اليهودى القديم موريس يقف مستندا بظهره إلى المكتب .. وهو شاب فى نحو الخامسة والثلاثين من عمره ..

ذو وجه أبيض مشرب بحمرة .. له قسمات اليهود الشرقيين .. طويل القامة .. يبدو أنيقا دائما .

يبتسم موريس فاتحا ذراعيه لاستقبال جابر: هالو مستر جابر..ويبدو جابر مأخوذا مضطربا وهو يتمتم متطلعا ناحية موريس والحقيبة السوداء فى يده غير مصدق ما يراه .. فيرد على موريس بلهجة كلها دهشة :

موريس .. غير معقول يا موريس !

ويتقدم كل منهما نحو الآخر فيحتضن موريس حقيبة جابر ويتحرك به داخل المكتب .. حتى يقف جابر داخل الغرفة .. فى اتجاه باب

الغرفة .. فيفاجأ بأن الباب يغلق .. وكان يقف خلف الباب ليفى .. فى موضع لا يراه فيه جابر .

وهو شاب فى مثل سن موريس تقريبا .. له قسمات اليهود الشرقيين أيضا.. ولكنه يميل إلى السمرة بعكس موريس .. وفى حركة خاطفة يخرج ليفى من جيب سترته مسدسا ويهوى بمؤخرته على رأس جابر.. فيتأثر جابر من شدة الضربة .. ويحاول أن يلتفت مسرعا إلى ضاربه .. فيعاجله ليفى بلكمة عاجلة عنيفة تلقى به على الأرض ناحية موريس .. ويسرع ليفى إلى جابر فيضربه على ظهره بآلة حادة. فيترنح على الأرض فاقدا وعيه .. والدماء تنزف من فمه ..

يسرع موريس فى كشف ذراع جابر ملتفتا إلى ليفى قائلا له : أسرع بإحضار راؤل .. فينصرف ليفى مغلقا باب الغرفة وراءه .. بينما يسحب موريس قطنة يدلك بها ذراع جابر المكشوفة .. ثم يسحب الحقنة ويغرزها فى ذراع جابر فيتقلص وجه جابر بتأثير غرز الحقنة فى ذراعه، ويغيب عن الوجود بفعل المخدر (المورفين) .

يضع موريس الحقنة على الصندوق المعدنى فوق المكتب ثم يبدأ فى تفتيش جيوب جابر فيخرج منديلين ، ودفتر شيكات سياحية ، وبعض الفرنكات السويسرية، ويضعها على المكتب .. ثم يخرج علبة سجائر يتبين أنها سجائر كليوباترة مصرية ومعها ولاعة .. ويسحب من العلبة سيجارة وهو يبتسم ملقيا العلبة على المكتب .. ويتمتم بقوله :

سجاير مصرية .. والله زمان .. كليوباترة

يبيعونها فى مصر بخمسة وعشرين قرشا .. ثم يشعل السيجارة ويسحب نفسا منها مستمتعا وهو يتمتم ملقيا الولاعة على المكتب : لذيذة !

ثم يتابع التفتيش فيخرج من الجيب الداخلى جواز سفر مع تذاكر سفر.. بينما يدخل راؤل وخلفه ليفى الذى يغلق الباب بإحكام .. وراؤل أيضا أحد شباب اليهود الشرقيين .. ولكنه أفطس الأنف قصير القامة .. يميل للسمرة مثل ليفى.. يتميز وجهه بانفعالات حاقدة كرفيقيه موريس وليفى ..

يلتفت موريس للباب مع تقدم راؤل .. ويمد لراؤل يده بجواز سفر جابر هلال.. ويطلب منه نزع صورة جابر ووضع صورته هو (صورة راؤل) بسرعة .. ويسأله عن الأختام فيجيبه راؤل : كل شىء جاهز، ويتناول راؤل الجواز ويختم عليه بخاتم كان قد أعده لذلك موريس يخاطب راؤل فى صوت متهدج : ستقوم طائرة بعد ساعة .. يجب أن تحجز عليها حالاً لأى بلد عربى !

راؤل متحيرا : وماذا أفعل فى بلد عربى ؟!

موريس : لا شىء .. تركب أول طائرة مسافرة من البلد العربى لأى بلد فى أوروبا .. روما باريس .. لندن .. أثينا..

راؤل والدهشة تبدو عليه : ثم ماذا ؟

موريس : نتقابل فى إسرائيل

راؤل : ولماذا هذه اللفة الطويلة ؟!

موريس : أريد لك نزهة وفسحة ..

راؤل متعجبا : نزهة وفسحة فى الجو ؟!

موريس آمرا : تحرك بسرعة !

ينصرف راؤل مسرعاً وبمجرد أن أغلق الباب خلفه ينفجر موريس وليفى فى الضحك .. ويستغرقهما الضحك بشدة .. وكأنهما فى حلم .. ثم يفيقان فيميل موريس على الحقيبة فى فرحة غامرة .. ويرفعها بيده .. فينسحب ذراع جابر مع الحقيبة بقدر ما يسمح به طول السلسلة التى تربط الحقيبة بمعصم جابر .. ويبتسم موريس فى لهفة قائلاً: أخيرا أسرار الصواريخ المصرية بعيدة المدى وذات الرءوس النووية أصبحت بين أيدينا .. ثم يشير بيده الثانية إلى رأس جابر ويقول: ومازالت الأسرار التى هنا فى دماغك! ثم يتخلى عن الحقيبة فتسقط على الأرض ومعها ذراع جابر.

* * *

إلى مطار القاهرة الدولى

استطاع راؤل أن يركب أول طائرة متجهة إلى مصر من مطار قبرص.. وأثناء هبوط الطائرة فى الجو نحو أرض مطار القاهرة الدولى. كان قلب راؤل يتساقط شيئا فشيئا مع هبوط الطائرة .. وهو جالس على مقعده..

مائلا على الرف المتحرك أمامه.. يملأ بيانات بطاقة دخول مطار بلد عربى.. نقلا من جواز السفر المصرى الذى وضعت فيه صور راؤل ، وظهر فيه اسم جابر هلال واضحا ..

وتهبط الطائرة على أرض المطار .. وتستقر فى ساحة الطيران عند نهاية الممر .. وهى ساحة كبيرة جداً.. تضم عدة طائرات من مختلف الجنسيات.. ومن مختلف الأنواع والماركات ..

وتعج بحركة عمال الشحن والتفريغ .. وبسيارات نقل الركاب وتستطيع أن ترى من هذه الساحة عند قدومك إليها .. مبنى المطار من الداخل ، وأبواب القادمين والمسافرين، والفندق، وشرفة المودعين والمستقبلين المطلة على الساحة.. كما ترى عنوان المطار بالعربية والإنجليزية مكتوبا على مبنى المطار المطل على الساحة .. مطار القاهرة الدولى القديم .

وبمجرد توقف الطائرة الكوميت التابعة لشركة مصر للطيران .. ويهبط الركاب والمضيفون والمضيفات وقائد الطائرة .. ويتوجهون

جميعا لركوب سيارة نقل الركاب وتتحرك السيارة مبتعدة عن الطائرة.. متجهة إلى مبنى المطار .. ثم تتوقف وتهبط منها المضيفة آمال بملابسها الرسمية .. ويهبط خلفها الكابتن ربيع قائد الطائرة والطيار بشركة مصر للطيران وهو شاب طويل القامة ، خفيف الروح، يبدو بسيطا ، لا يحفل بشيء غير عمله، وهو محبوب من الجميع، محترم رزين فى حديثه ، قليل الكلام .

ينزل من السيارة بملابسه الرسمية حاملا حقيبة هاندباج صغيرة مكتوب عليها الجمهورية العربية المتحدة ـ مصر للطيران.. ويأخذ فى المزاح مع المضيفة آمال التى تسبقه بخطوة..

ربيع مازحا: افسحى يا آمال للكابتن !

آمال فى دلال : سنبدأ الكوميديا بعد التراجيديا..

ربيع معقبا : أى تراجيديا والعياذ بالله!

آمال : أقصد الجد.

ربيع : نحن قد تركنا الطائرة الآن ... فلنمزح بحريتنا !

آمال : نحن مازلنا فى المطار يا كابتن!

ربيع وكأنه يفيق من غفلة : نعم .. صحيح والله!

ينصرف الكابتن ربيع وخلفه مساعدوه وسط تدافع الركاب.. وتضحك آمال ضحكة خفيفة.. وقد تجمع الركاب حولها ولكن ظل نظرها معلقا بربيع.

ويسير ربيع على الكوريدور المحاذى لصالات المطار، ويهم بالاتجاه نحو باب صالة القادمين، فتناديه المضيفة الأمريكية الجميلة بابى.. وهى فتاة جذابة ممشوقة القوام خفيفة الظل.. وقد وقفت أمام أحد أبواب صالة المسافرين (الترانزيت) منادية : كابتن ربيع .. كابتن رابى.. هالو .. هالو.

ويلتفت إليها ربيع هاتفا : هالو بابى! ويمضى نحوها بينما الركاب القادمون يمضون إلى باب صالة القادمين، تتقدمهم المضيفة المصرية آمال . متطلعة إلى ربيع الذى يتجه إلى بابى .. وقد مدت بابى يدها سعيدة وهى تستقبل ربيعا ممسكة بيديه فى أدب واحترام.. بابيـ هالو كابتن ربيع ! وندرفل!

ربيع : قوليها بالعربى

بابى فى لكنة أمريكية مدهش

ربيع مداعبا : أنت المدهشة!

بابى : القاهرة بلد سياحى جميل

كلمنى فى التليفون ! باى باى !

تتخلى بابى عن يدى ربيع منصرفة ، ويرفع ربيع يده لها بالتحية وينصرف إلى باب صالة الترانزيت .. ولا يزال يتابع بابى بنظره، ثم يلتفت عابرا الباب بعد التفتيش القانونى... إلى صالة الترانزيت.. التى تعج بأصوات حركة الجماهير وصوت الميكروفونات والطائرات ..

وبصالة أبواب تؤدى إلى مكاتب الجوازات .. وإلى صالة جمرك المسافرين للخارج ... مكان لبيع الصحف .. يقع بجواره البار ..

يجلس على مقاعده العالية بعض المسافرين من جنسيات مختلفة يتناولون المرطبات.. وتصطف المقاعد الجلدية فى الصالة وعليها مجموعات من المسافرين إلى بلدان العالم .

وفى وسط الصالة كاونتر دائرى لاستعلامات الترانزيت.. خلفه مضيفات لشركة مصر للطيران بملابسهما الرسمية .. هما نيللى أمام الميكروفون .. تجيب على سؤال لأحد المسافرين.. وعواطف تطالع رواية فى فترة هدوء النشاط فى الصالة .. وفى نهاية الصالة السوق الحرة. بمعروضاتها المختلفة .. وبها تظهر أجود أنواع الملابس تحت عنوان .. صناعة ممتازة جدا .. وعلى أبواب الصالة توجد الإشارات الكهربائية المضيئة تعلن عن حركة الطيران فوق كل باب للطائرات المغادرة الطائرات القادمة .

وفى وسط الصالة يظهر شاب فى ملابس أفرنجية فى حوالى الخامسة والعشرين من عمره.. وسيم المنظر .. عارى الرأس .. ولكن له نظرات مريبة.. مما يثير الشك نحوه .

وفى هذه اللحظة يقبل الكابتن ربيع حاملا الهاندباج من الباب الذى دخل منه . .. وفوق الباب إشارة ضوئية تعلن عن قيام طائرة شركة مصر للطيران برحلة إلى لندن .. مع سماع صوت نيللى خلال مكبر الصوت تعلن : على جميع الركاب المسافرين إلى لندن على طائرة مصر للطيران أن يتوجهوا إلى صالة السفر لإنهاء الإجراءات..

ومع صوت نيللى يتقدم ربيع داخل الصالة فى اتجاه كاونتر الاستعلامات .. وعين ذلك الشخص المريب تتعلق بربيع.. وهو جالس

على أحد المقاعد .. فى اهتمام شديد. ثم ينهض ذلك الشخص متابعا ربيعا بنظراته فى ترصد ومراقبة دقيقة .

وخلف كاونتر الاستعلامات تقف المضيفات وتتابع إحداهن الإعلان الموجود على شاشة التليفزيون بالمطار .. بينما تقول علية وهى إحدى المضيفات المصريات لأحد الركاب الواقفين أمام الكاونتر.. بالإنجليزية : فى خلال ٥٠ دقيقة فيشكرها الراكب : شكراً !

وينصرف .

وفى نفس الوقت يقبل ربيع على الكاونتر، فيقلب الرواية التى تطالعها عواطف التى تلتفت إليه مضطربة وهى تقول : رعبتنى ! ثم تقول له مبتسمة : الحمد لله على سلامتك يا كابتن!

ربيع : لماذا تضيعين وقتك ؟!

عواطف : هذه قصة ممتعة جدا يا كابتن !

ربيع : أنا عندى كتاب أجمل !

عواطف : عن أى شيء ؟

ربيع : عن الضباط الأحرار ..

عواطف وهى تضحك فى سعادة .. فعلا يا كابتن .. هو كتاب جميل!

لقد قرأته من فترة .. تأليف الأستاذ إحسان عبد القدوس.

فى هذه اللحظة تنتهى علية ونيللى من الرد على أسئلة الركاب وإذاعة الإعلان.. فتتضاحكان.. ويهم ربيع بالانصراف فتستوقفه علية مازحة ويدور بينهما الحوار :

علية : كابتن ربيع
ربيع : أفندم !
علية : ما آخر أخبار لندن ؟
ربيع : البيتلز فى كل مكان منتشرون.. لقد انتشروا فى لندن ..
عاملين عمايلهم !
صنفوا جميع الرجال ..
عواطف : وبالنسبة للملابس ؟
ربيع : الأسعار مرتفعة جدا .. مولعة نار..
كل يوم فى غلاء مستمر مثل الدولار .. تضحك المضيفات الثلاث. علية وعواطف ونيللى .. ويستطرد ربيع فى حديثه :
والبرانيط .. البرانيط الخوص للسيدات .. تحيا البرانيط بل تحيا الطرابيش وعصر الطرابيش .
والبدل والكرافتات بتاعة كلارك جيبل أصبحت موضة .. رجعت أيام «ذهب مع الريح» .. والفساتين أصبحت طويلة ومحترمة جدا هناك ! ياريت ترجع أيام كليوباترا
تضحك المضيفات من مزاحه وتعقب نيللى علية .. تقصد أخبار لندن السياسية !
ربيع مازحا وهو ينصرف . هذه هى السياسة التى أفهمها وشكراً .
يخرج ربيع من مبنى المطار .. مع لحظة الأذان .. وصوت المؤذن يهلل .. الله أكبر .. من مسجد المطار .. ويظهر الطريق الممتد أمام

المطار.. وعند ساحة وقوف السيارات .. تقف سيارة فى مواجهة الباب الذى يخرج منه القادمون خلفها سيارة مكشوفة ذات مقعدين .. تجلس سارة فيها على مقعد القيادة .. وهى مضيفة أيضا بشركة مصر للطيران.. بملابسها الرسمية .. وتبدو سارة جميلة ممشوقة القوام فى حوالى الثامنة والعشرين من عمرها ، تتطلع سارة إلى باب الخروج من المطار .. بينما يقبل الكابتن ربيع حاملا الهاندباج وهو بملابسه الرسمية .. متجها نحو السيارة نصف الأوتوبيس دون أن يلحظ سارة ويقبل خلفه عن بعد الشخص المريب الذى يتبعه مراقبا .

وتستوقف سارة ربيعا منادية عليه فيلتفت إليها : هالو سارة ! ثم يقبل عليه .. ويدنو من سيارتها .. والطريق يمتد خلفهما مع ساحة موقف السيارات وتدعوه سارة لتوصيله إلى منزله فى طريقها . فيستجيب لدعوتها.. ويصعد سيارتها .. ويجلس إلى جوارها.

وتندفع السيارة فى الطريق إلى مصر الجديدة وتتبعها سيارة أخرى ملاكى سوداء مرسيدس حديثة .. ذات زجاج أسود قاتم .. يقودها رجل يرتدى الملابس المدنية ويجلس بجواره الشخص المريب الذى يراقب ربيعا .

* * *

فـى شـوارع القـاهـرة

ترتفع أعلام الجمهورية العربية المتحدة مرفرفة فى سماء مصر الجديدة وسط شارع العروبة .. عند الشريط الأخضر الممتد على طول الشارع الذى يخترق مصر الجديدة من المطار حتى بداية شارع صلاح سالم .. وعلى الطريق تقبل سيارة سارة قادمة من المطار.. وبجوارها ربيع .. وهما بملابسهما الرسمية .. وتتبعهما السيارة التى تحمل الشخص المريب وسائقها ..

تظل سيارة سارة منطلقة حتى تدخل شارع صلاح سالم وعن يسارها الشريط الأخضر وأحواض الزهور الملونة .. فى طريقها إلى العباسية .. وربيع وسارة يتابعان حديثهما فى مرح وابتسام .

سارة : لا فائدة منك ! ستظل تحيا دائما فى خوف !

ربيع : لماذا يا سارة ؟

سارة : أليس للإنسان اهتمامات إلا بشغله فقط ؟

ربيع : وماذا غير العمل والشغل ؟

سارة : لو فعل الناس جميعا مثل ما تفعل .. لخربت الدنيا !

ربيع : لماذا تخرب ؟

سارة : إن مسئوليات الناس يا كابتن ربيع أوسع من ذلك بكثير .. هناك آمال وطموحات وأحلام.. هناك أسرة وأولاد.. هناك حضانة ومدارس وجامعات .. مسئولية كبيرة ..

ربيع : أنا لا أجهل المسئولية الدنيوية .. وهذه هى سنة الحياة .

سارة : الزواج مثلاً !

ربيع ضاحكا : وصلت للجول .. اوعى تشوطى !

سارة ضاحكة : إذن كيف تستمر الحياة ؟

ربيع : وما شأنى ؟ إنها أيام أتمتع فيها بالحياة .. قبل أن أفكر فى الزواج .. آه من الزواج! وآه من مسئولية الأولاد وتربيتهم ! حتى نبنى جيلا طيب الأعراق !

سارة فى تعجب : آه منك ! كم أنت خائف من الدنيا !

ربيع : بالعكس .. ولكنى أحسب ظروف تغير الأيام .. وغلاء المعيشة ومسئولية الأولاد .

تضحك سارة فى عجب .. ويتابع ربيع حديثه :

ويا ترى من الذى يعاكسنى كلما أدخل فى مطب جوى.. أو أمر فوق جبل عال ؟!

تستغرق سارة فى الضحك دون أن تملك السيطرة على نفسها ... وتلتفت إلى ربيع مع اهتزاز عجلة القيادة فى يدها .. قائلة :

كن جاداً فى الموضوعات العاطفية..كما أنت جاد فى العمل .

ربيع يصيح وقد رأى خطراً : انظرى أمامك يا سارة !

لقد كادت سيارة سارة تصطدم بشجرة وسط الطريق .. فتحاول أن توقف السيارة بفرملة عنيفة .. وتعطى «كلاكس» عاليا طويلا مزعجا.. وكان بهذه السيارة الخلفية ذلك الشخص المريب وسائقها.. فتضطرب سارة وبجوارها ربيع يقول لها : هذه هى الحياة !

فتضحك سارة ضحكة باهتة ، ويبدو فى صوتها رنة انفعال واضطراب وخوف .. وتقول : نحن فى إيه ولا إيه ؟

ربيع : الموت يا سارة يكون فجأة ! فى لمحة بصر تنتهى الحياة.. وينتهى معها كل شىء فى ثانية ..

سارة : ألم تسمع قول العقاد فى شعره حين يقول :

الموت أخاذ فخذ ما تستطيع من الحياة!

ربيع : الله أكبر ! نحن نحفظ شعراً أيضا !

مع هذه العبارة تندفع سارة بسيارتها ضاحكة ويشاركها ربيع فى الضحك .. وخلفهما السيارة التى تحمل الشخص المريب .. تتبعهما . تخترق السيارتان شارع رمسيس.. وسط زحام السيارات ..

وتلتفت سارة إلى ربيع قائلة : ولكن لماذا كل هذا التشاؤم ؟!

ربيع : انظر أمامك الله يخليك !

فتلتفت سارة أمامها ضاحكة : كلنا سوف نموت يا أخى !

ربيع فى لهجة المنتصر الذى بلغ ما يريد: إذن لماذا نتزوج ؟

تنظر إليه سارة فى نظرة عاتبة .. فيعتذر لها ربيع بقوله : أيهون عليك أن أترك أرملة وأيتاماً؟!

سارة : ألن تترك لهم معاشاً ؟!

ربيع : هل الدنيا مال وفلوس فقط ؟!

وهل المعاش يكفى حاجاتهم؟

ربنا هو الذى يسترها معنا فقط !

سارة فى عصبية : أراك تنوى أن ترجع فى كلامك وأن تخلف وعدك !

تندفع سارة بسيارتها فى سرعة رهيبة .. ضاغطة فى عصبية على البنزين .. بين زحمة السيارات فى شارع رمسيس .. وينزعج ربيع محاولا أن يكفها عن هذه السرعة..

تستمر سارة فى قيادة سيارتها بسرعة إلى أن تصل إلى شارع عدلى.. وتقف السيارة عند باب العمارة التى تسكنها سارة .. وتهبط سارة من السيارة فى انفعال .. وتقول لربيع : خذ السيارة واذهب بها.. على أن تأتى لى بها فى تمام السابعة صباحاً.

ينطلق ربيع بالسيارة مودعا سارة.. وتتجه سارة إلى باب العمارة .. فى حين تتوقف سيارة الرجل المريب من على بعد.. ويهبط منها ذلك الرجل ويترك سيارته لينطلق بها السائق بدونه .. ويتجه الرجل إلى العمارة التى تسكن بها سارة .. ويأخذ فى تأملها متطلعا إلى واجهتها.. فهى عمارة عتيقة من عمارات ما قبل الحرب العالمية الثانية.

* * *

فى شقتى لص

تهم سارة بالصعود على سلم العمارة .. وهو سلم من طراز قديم له درابزين عتيق .. وبمجرد أن تضع رجلها على الدرجة الأولى من السلم .. حتى تسمع صوت سيارة فى الشارع.. فتحاول أن تعود إلى باب العمارة لتخرج إلى الشارع فتشاهد ما يحدث .. ولكنها تتوقف عند الباب من الداخل فجأة .. وإذا بها تعود إلى السلم فزعة آخذة فى الصعود بسرعة مرتاعة.. حى تصل إلى باب مسكنها .. فتخرج المفتاح وتفتح باب المسكن .. وتدخل إلى غرفتها مباشرة ..

والمسكن من الطراز القديم.. به صالة فيها أنتريه بسيط قديم الطراز . وعلى جدار الصالة صورة بالحجم الكبير لجابر هلال بالملابس الأفرنجية وحوله وسام العلوم من الطبقة الأولى.. فهو عالم فى الذرة.. كان قد حصل على شهادة الدكتوراه فى الذرة من ألمانيا الغربية .. وعمره حوالى خمسين عاماً .. ويطل على الصالة باب غرفة نوم جابر وبجواره باب غرفة نوم سارة .. ثم باب غرفة الصالون .. ومدخل عليه ستارة يؤدى إلى دورة المياه.. وبين مقاعد الأنتريه جهاز تليفزيون فوق منضدة.. وتحت التليفزيون جهاز راديو كاسيت من ماركة ناشيونال حديث جدا وشرائط ..

تدخل سارة إلى غرفتها وتضىء النور.. فتنكشف الغرفة عن شرفة تطل على شارع عدلى.. مغلقة الباب.. وعليها ستارة .. وبالغرفة سرير

بسيط بجواره كمودينو .. عليه أباجورة .. بجوارها كتاب باللغة الفرنسية عن حرب السويس وما يتعلق بشخص الرئيس عبد الناصر.. وفي ركن من الأركان توجد شماعة ملابس عن يمينها دولاب ملابس وعن يسارها تسريحة.

تبدأ سارة فى خلع سترتها.. ولكنها تفاجأ بصوت يثير انتباهها ينبعث من الصالة .. فتلتفت ناحية باب غرفة النوم فى قلق ظاهر .. وتطل منه على الصالة لتعرف مصدر الصوت.. فقد وقع شيء على الأرض.. وسمعت صدى سقوطه .. مع حركة لالتقاطه بسرعة البرق واتضح لها آخر الأمر أن الصوت قد صدر من غرفة شقيقها جابر .. فتتجه إلى باب الغرفة لتنظر من ثقبه.. وغرفة نوم جابر بها سرير ودولاب ومكتب صغير .. وفوق المكتب أرفف لمكتبة علمية تتعلق بعلوم الفضاء والذرة ومقعد خلف المكتب .. وأباجورة فوقه .. وبالغرفة شباك يطل على الشارع تتدلى من فوقه ستارة..

كانت الغرفة مظلمة .. يصل إليها ضوء خافت جداً من ضوء الصالة خلال الزجاج العلوى لبابها.. وترى سارة من خلال ثقب الباب ألبوما للصور ملقى على الأرض مفتوحا به صورة لسارة وهى تقف بين شقيقها جابر هلال والكابتن ربيع بملابس الطيران الرسمية.. وتبدو الصورة حديثة كانت قد التقطت فى مكان عام وسط حديقة مزهرة .. ويبدو فى الصورة أن جابر هلال أكبر سنا من ربيع الطيار بحوالى ١٥ سنة .. وتبدو سارة صغيرة عن ربيع بحوالى خمس

سنوات .. وترى سارة من خلال ثقب الباب رجلا تمتد يده إلى الألبوم.. مسلطا ضوء بطاريته على الصورة .. فيأخذ الألبوم ويغلقه.. وترى سارة قدمى الرجل ثابتتين لا تتحركان وقد ارتدى حذاء مدنيا وتتحقق سارة من الرجل فتجده ذا وجه صارم عارى الرأس .. فى ملابس مدنية .. وقد قارب عمره الأربعين . تذوب سارة رعبا وتطلع إلى الباب الخارجى للمسكن .. فتسرع إليه وتفتحه فى رعشة بالغة . وتهبط على السلالم بجنون .. منادية على البواب عم عثمان ..

ـ عم عثمان .. عم عثمان .. حرامى يا عم عثمان ! فى هذه اللحظة يخرج اللص من مسكن سارة متسللا يحمل ألبوم الصور.. ويهبط مسرعا إلى الطابق الأسفل لطابق سارة مباشرة .. متجها إلى باب المسكن الواقع تحت مسكن سارة تماما.. ويدس فى الباب مفتاحا ويفتح الباب ويدخل مسرعاً ويغلق الباب.. ويختفى بسرعة مذهلة .. ولا يراه أحد..

يقبل عم عثمان على سارة صاعداً وفى يده عصا غليظة.. وهو رجل قوى عملاق ..

ـ فيه إيه يا ست سارة ؟

ـ تعال وصلنى للشقة يا عم عثمان !

ـ تحت أمرك يا ست !

يصعد عم عثمان مسرعا على السلم سابقا سارة.. وحاملا عصاه الغليظة .. ويدخل الشقة فى صمت وتلحقه سارة .. ويبحثان فى

الشقة عن اللص .. فلم يجدا أحداً .. ويحاول عم عثمان تهدئة سارة وبث الطمأنينة فى قلبها .. ورفع روحها المعنوية .. حيث اتضح عدم وجود لص كما توقع .. على الرغم من دهشة سارة من ذلك .. فقد رأته بعينيها شخصا حقيقيا .. لا تزال سارة غير طبيعية لما شاهدته فى حجرة شقيقها جابر .. ولما سمعته من صوت انفجار خارج المنزل عند صعودها على السلم.. بعد توديع ربيع لها ..

تشكر سارة عم عثمان .. وتأمره بالانصراف فيخرج مطمئنا لها أنه سيظل ساهرا فى حراستها..

وإذا شعرت بأى صوت أو بأى حركة.. تنادى عليه فورا ..

خرج عم عثمان يحمل عصاه .. وتغلق سارة الباب وبمجرد إغلاقة تسمع فى الخارج سرينة بوليس وصوت همهمة الجماهير فى الشارع.. حيث تجمع الناس حول حادث انفجار السيارة... وحضر البوليس . فترتمى سارة على أحد المقاعد .. وبجوارها التليفون. وهى ما زالت بملابسها الرسمية ماعدا سترتها وقد بدت متعبة .. وأخذت تجفف حبات العرق التى علت جبهتها .. وعيناها تبرقان من الخوف والدهشة والقلق فتمد يدها لحظة بعيدة عن أذنها .. وهى تفكر فى قلق .. ثم تضع إصبعها على التليفون وتدير الرقم .. مرة بعد أخرى فى ارتباك.. ولكن التليفون تجد خطه مشغولا فى كل مرة ..

وفى محاولة أخيرة منها بعد أن كادت تيأس .. سمعت فجأة صوت جرس التليفون على الجانب الآخر.. ويرد ربيع عليها .. ألوه .

سارة فى نبرة متهدجة : ألوه يا ربيع ! تليفونك مشغول بقاله مدة!

ربيع : أهلا ! أهلا ! وحشتك بالسرعة دى ؟!

سارة : الحقنى يا ربيع ! الحقنى!

ربيع: فيه إيه يا سارة ؟

سارة : أنا قاعدة لوحدى فى الشقة .. خايفة .. سأموت من الخوف..

ربيع : ليه يا سارة ؟ حصل إيه ؟ ما أنت بتقعدى لوحدك فى الشقة على طول !

سارة : أرجوك يا ربيع ! كان فيه لص فى الشقة ..

ربيع : إيه ؟! لص ! أبلغ البوليس ؟!

ساره : لا.. تعال بسرعة.. أنا خايفة!

اللص هرب خلاص..

يسرع ربيع بالعودة إلى سارة .. فلم يكتشف أى آثار كانت لوجود لص.. فيسخر منها.. فتدعوه سارة للجلوس فيجلس معها على الأريكة وقد أخذ يهدئ من روعها .. ثم تطور الحديث إلى الكلام فى الحياة والمستقبل والآمال المشرقة لهما فنسيت سارة خوفها .. وذابت معه فى أحلام وردية هادئة .

* * *

مسكن المراقبة

هو نفس نظام مسكن سارة ، فهو يقع تحت مسكنها مباشرة فى نفس العمارة ، نفس شكل البناء ، ونفس توزيع الغرف ، أما الليفبخ روم فهى من النوع القديم، فى ركن منها منضدة مستديرة حولها عدد من المقاعد من النوع الصينى، وعلى المنضدة مفرش من القطيفة الحمراء، وفوق المنضدة جهاز تسجيل مع مكبر صوت ، بجواره الألبوم الذى أخذه اللص من غرفة نوم جابر وجهاز تليفون . ويتصل جهاز التسجيل بوصلة سلكية تمتد إلى نافذة الغرفة ، وقد أغلقت النافذة واختفت الوصلة السلكية خلف الستائر .

كان اللص قد هرب مسرعا متخفيا من مسكن سارة، واتجه إلى مسكنه الواقع مباشرة تحت مسكنها. وبمجرد وصوله إلى مأمنه أدار مكبر الصوت.. واستمع إلى الحديث الذى دار بين سارة وعم عثمان.. وأخذ يتسم منصتا إلى ذلك الحديث.

وبعد خروج عم عثمان من مسكن سارة، وإغلاقها لباب شقتها.. يغلق اللص مكبر الصوت.. ويتنهد تنهيدة عميقة تنم على الارتياح .. وفى هذه الأثناء يدخل الشخص المريب الذى كان يراقب ربيعا فى المطار.. ثم تتبعه منذ خروجه من المطار وسارة معه إلى أن وصل إلى العمارة التى تقطن بها سارة فى شارع عدلى.. يدخل الشخص المريب إلى الليفنج روم.. ويطلب من اللص أن يدير جهاز التسجيل ليسمع ما

كان اللص قد سجله على شريط تسجيل من حديث دار بين سارة وربيع ينم على حب سارة له .. يجلس الشخص المريب إلى المنضدة إلى جوار اللص، وقد أسند رأسه على راحته.. وأخذ اللص يدير جهاز التسجيل.. وبدأ الشخص المريب يستمع باهتمام بالغ.. بينما اللص يتصفح الألبوم الذى أخذه من حجرة نوم جابر ويتأمل الصور التى به وهو يبتسم.

صوت سارة: ماكنتش أعرف أنى غالية عليك للدرجة دى..

صوت ربيع: دى عشرة العمر يا سارة !

صوت سارة: بس كده ؟!

صوت ربيع : أقول لك الحق يا سارة.. الاختيار صعب أحيانا.. لكن الواحد أحيانا يشعر براحة نفسية لما أكون معك.. يعنى أما أبقى جنبك.

صوت سارة: وأنا بأكون سعيدة زيك تماما..

صوت ربيع : مغناطيس تانى بيبعدنى عنك.

صوت ساره هامسة فى منتهى الدلال: خلاص خليك جانبى على طول يا ربيع.

وهنا يعدل الشخص المريب فى جلسته .. ويتنهد تنهيدة قوية.. وكأن له قصة حب هو الآخر.. ثم يدق المنضدة بقبضة يده وهو يصيح : وبعدين بقى؟! أنا عايز أعرف أنتم بتعملوا إيه بالضبط !

ويلتفت الشخص المريب إلى اللص القابع جواره فيجده يتصفح ألبوما فيأخذه منه مختطفا إياه .. وقد كانت صفحة الألبوم مفتوحة على صورة سارة وهى صورة حديثة لها بملابسها الكاملة.. وهى ملابس مضيفة بشركة مصر للطيران.. فيضحك اللص قائلا : كل ده حديث ؟!

ويجيبه الشخص المريب: أصلها تستاهل..

هى ملكة جمال.. انظر إلى صورتها كم هى فاتنة .. رائعة الجمال!

فيعيد اللص النظر إلى الصورة ويقول : عندك حق والله !

* * *

في مكتب العميد بالمخابرات

غرفة مكتب بالإدارة العامة للمخابرات المصرية.. تتميز الغرفة بالبساطة مع الجودة.. وبجوار المكتب عدد من أجهزة التليفونات فضلا عن جهاز تليمتر.. وجهاز راديو قوى.. وأمام المكتب مقعدان.. وفوقه عدد من الملفات والبطاقات.. وعلبة سجائر وولاعة .. وفي جانب من الغرفة مائدة للاجتماعات.. حولها عدد من المقاعد .. وعلى الحائط خلف المكتب علقت خريطة الوطن العربى وصورة للزعيم الخالد/ جمال عبد الناصر.. وعلم مصر الشامخ بألوانه المعروفة

ويجلس على المكتب عميد مخابرات .. هو العميد محمد حافظ.. كما هو مكتوب اسمه على لوحة صغيرة موضوعة على المكتب.. وهو رجل عسكرى طويل القامة فى نحو السابعة والأربعين من عمره .. وشعيرات بيضاء تتخلل الشعر الأسود تجعله يبدو أكبر من سنه.. وعلى الرغم مما يدور من حوله وما يعيش فيه من أحداث .. فإنه يبدو رقيقا هادئا فى طبعه .. مجاملا على عكس الصورة المنطبعة عن رجل المخابرات.. إلا أنه يتميز بإرادته الصلبة وبحزمه وانضباطه فى عمله .. وبذكائه الذى يشع من عينيه.. وفى نفس الوقت بسيط فى منظره.. أنيق فى ملبسه .. فهو يرتدى ملابس مدنية بعيدة كل البعد عن مظهر التكلف والبهرجة.

يجلس العميد محمد حافظ على مكتبه .. وأمامه على المكتب ذلك الألبوم الذى سرقه اللص من غرفة جابر هلال بشقة أخته سارة ..

والألبوم مفتوح على صورة سارة.. وسارة تجلس أمامه على المكتب بملابس الخروج العادية.

يشير العميد إلى الألبوم قائلا لسارة : لا مؤاخذة استلفنا الألبوم ده من حجرة أخوك الدكتور جابر !

فأجابها العميد فتفاجأ سارة بالألبوم.. وتردعلى العميد قائلة فى ضحكة تدل على الدهشة: دى كانت ليلة ما شفتش فيها النوم !
فأجابها العميد قائلا :

المسألة تتعلق بمصيرنا كلنا.. مصير ١٠٠ مليون عربى.. أنت طبعا عندك فكرة عن مهمة أخوك الدكتور جابر فى الخارج .

تجيب سارة وهى فى هدوء وثقة : اللى أعرفه أن شغله كله أسرار !
فيرد عليها العميد فى تأكيد وحدة وهو يقلب صفحات الألبوم: مهمة خطيرة .. خطيرة جدا ..

ثم يتطلع العميد إلى الألبوم وقد وصل إلى الصورة التى يريدها . ويمد يده بالألبوم مفتوحا على هذه الصورة إلى سارة .. قائلا لها : إيه رأيك فى هذه الصورة ؟

تتأمل سارة الصورة .. ويتحول العميد من مكتبه إلى الجلوس بجوار سارة أمام المكتب .. وترفع سارة بصرها إليه وهى تقول : دول طلبة البكالوريا بمدرسة الجيزويت !

يشير العميد إلى صورة جابر هلال بين كل من موريس وليفى .. وقد حددت صورهم بمستطيل من الحبر الأحمر فى الصف الذى

يقفون فيه بين الطلبة الذين يبلغ عددهم الثلاثين من طلبة الجيزويت.

ـ العميد : مش دى صورة أخوك جابر ؟!

ـ سارة : نعم ..

ـ العميد : ودول ؟

ـ سارة : وده ربيع !

ـ العميد : خطيبك ؟

ـ سارة : أيوه..

ـ العميد : ومين دول كمان ؟

ـ سارة: ده موريس وده ليفى!

ـ العميد : من اليهود ؟

يرفع العميد رأسه عن الصورة.. وبدت سارة مضطربة وهى تتطلع إلى العميد وقد خالجها الشعور بالذنب .. بينما ينهض العميد من جوارها ويجلس على حافة المكتب.. وأخذت سارة تبرر العلاقة بموريس قائلة : كان موريس مجرد زميل لجابر.. وكان جابر أكبر منه فى السن.. وكان ربيع تلميذا بالمدرسة.. وكنا كلنا جيران فى عمارة واحدة.. نفس العمارة اللى أحنا فيها لحد دلوقت !

يتناول العميد سيجارة من علبة السجائر التى على المكتب وتخفض سارة رأسها، وتفرك يديها فى قلق .. منتظرة تعليمات العميد.. وتختلس النظر إليه .. فإذا به مشغول بإشعال السيجارة.. فتتابع تبريرها قائلة فى تساؤل :

هو شيء عجيب إننا نشوف مصرى فى صورة واحدة مع يهودى ؟!
العميد موضحا فى حدة : ده صهيونى !
سارة فى مواجهة وثقة : كان شيئا عاديا جدا قبل الحرب مع اليهود.. قبل حرب فلسطين .. وحتى بعد الحرب ..
كان يقال إن اليهود فى مصر بعيدون عن المشكلة ..
يضحك العميد ساخرا من قولها ثم يقول :
بعد الحرب التى مرت بها مصر مع اليهود .. تغيرت كل الأحوال.. وخصوصا بعد الثورة.. وقد ظهرت أنياب الصهيونية واضحة على حقيقتها !
ثم يميل العميد ويتناول الألبوم .. ويقلب الصور حتى يصل إلى صورة معينة .. ويعرضها على سارة .. فتتأمل سارة صورتها وهى فى الثالثة عشرة من عمرها وقد وقفت فى دلال بجوار موريس الذى كان قد بلغ وقتها السابعة عشرة من عمره .. وكل منهما كان يرتدى قميصا وبنطلونا قصيرا.. وكانت الصورة لهما فى ملعب الباسكت بول بأحد الأندية..
تشعر سارة بالخجل .. وتخفض رأسها حياء .. بينما يقلب العميد صفحات الألبوم لتظهر صورة أخرى لسارة وهى فى نفس سن الصبا.. تراقص موريس.. وما أن ترى سارة هذه الصورة حتى تنهض منفعلة وهو تقول: دى كانت حياتنا فى المدارس الفرنسية يا أفندم .
العميد مشيرا إليها بالجلوس : اتفضلى ! ارتاحى ! وقفت ليه ؟! امسكى أعصابك شوية !

تجلس سارة مطيعه.. ولكنها فى قلق شديد.. وحاولت تبرير تلك الصور بقولها : ما كانش فيه أى قيود دينية.. كنا كلنا فى المدرسة نصلى.. يهود ومسيحيون ومسلمون.. وكان كل واحد حرا فى تصرفاته .. الدين لله والوطن للجميع.. يجز العميد على أنيابه بينما سارة تتابع تبريرها : والفوارق الدينية ما كانش لها أى حساب بين الجيران.. لدرجة إن موريس أحب أن يشهر إسلامه و..........

وتتوقف سارة عن الحديث .. ويحاول العميد أن يجعلها تواصل كلامها فقال : لماذا تسكتين ؟

أكملى حديثك يا آنسة سارة !

تشعر سارة بالخجل فتخفض رأسها وفى صوت خفيض تقول : ويتجوزنى ! ويشعر العميد بالغيظ ولكنه يحاول أن يكظم غيظه فيجز على أسنانه مرة أخرى.. ويهبط من على حافة مكتبه.. ويتجه إلى مقعد مكتبه فيجلس وهو يقول: لازم بقى الصلات القديمة دى هى اللى خلت جابر يقابل موريس فى أوروبا ؟!

تنهض سارة منفعلة غاضبة وتقول : أنا لا أسمح لأحد بأن يشك فى أخى !

فيرد عليها العميد واقفا خلف مكتبه : الشك له أسبابه ومبرراته.

سارة : لا أتصور أن أخى خائن !

العميد : لم يقل بذلك أحد !

سارة : كلام سيادتك لا معنى له غير هذا .

فأطلعها العميد على بطاقتين.... واحدة لموريس والثانية لليڤى.. وكل منهما حمل صورة صاحبها فى نصفها الأيسر .. وفى النصف الأيمن من كل بطاقة قد كتبت معلومات عنهما.. وأخذت سارة تتأمل البطاقتين والعميد يقرأ لها ما كتب فيهما :

من أذكى رجال المخابرات الإسرائيلية وأخطر رجال الموساد.

ترفع سارة رأسها نحو العميد رافضة هذا الظالم ولا تتصوره .. ويتابع العميد قائلا :

لابد أن نشك وسنظل نشك حتى نطمئن ! فتقع سارة نهب صراع عنيف .. فهى رغم المبررات المؤكدة تنكر على أخيها أمر الخيانة .. وترتعش شفتاها متمتمة متسائلة فى استنكار.. وقد أخذت تتهاوى على مقعدها : جابر خائن ؟!

يجلس العميد على مقعده ويخرج رسالة من درج مكتبه ويقول: لسنا أقل منك حرصا على تبرئة مواطن مصرى من تهمة الخيانة.. ثم ينشر الرسالة وهو يقول متضاحكا : الجواب ده جالك من أخوك جابر.. استلفناه كمان زى ما استلفنا الألبوم من حجرته بشقتك .

فتبتسم سارة فى حركة عصبية .. وقد اغتصبت ابتسامتها .. ويتابع العميد عبارته:

باين من ختم البريد إنه بعث الجواب ده من أسبوع فقط.. شوفى يا ستى بيقول إيه ؟

يتأمل العميد الرسالة ويقرأ هذه الفقرة التالية: « هل تذكرين موريس؟ لقد التقيت به فى براج .. ولذلك قصة سوف أرويها لك عند عودتى إن قدر لى أن أعود» .

تنهض سارة منفعلة فى غضب وهى تدق المكتب بقبضتيها قائلة فى لهجة من التحدى: مش ممكن ! مش ممكن!

حاول العميد أن يهدئها ولكن خطفت منه الرسالة التى فوجئت بها لأنها لم تقرأها من قبل ولم تصل إليها .. وقالت الجواب ده لازم مزور .. مش ممكن جابر يكتب الكلام ده !

تتأمل سارة الرسالة ولكنها تصدم بأنها مكتوبة بخط أخيها جابر فعلا.. فتتهاوى على المقعد وهى تجهش بالبكاء وتتمتم فى عجز ورفض : جابر مش ممكن يخون .. مش ممكن يخون أبداً !

يتناول العميد منها الرسالة ويقول : احنا صحيح اتعلمنا فى مدارس أجنبية وعاشرنا أجانب لكن مش ممكن نخون .. ما نقدرش ننسى أصلنا .. فلاحين من البرامون مركز المنصورة دقهلية.

ينهض العميد منهيا الجلسة .. فتنهض سارة وهى تجفف دموعها .. ويأخذ العميد فى كتابة رقم تليفونه فى ورقة وهو يقول لسارة : أرجو أن يكون كل ما تكلمنا فيه يظل سرا بيننا حتى على ربيع .. ويقدم العميد لها الورقة متابعا : ولو .. أنا عارف كل حاجة .. دى نمرة تليفونى .. إذا جد أى شيء أرجو أن تتصلى بى.. وإياك أن تطمئنى لأى إنسان يدعى أنه مخابرات إلا إذا قال لك الرقم (٧٣ ـ دبابة أم كلثوم) كلمة السر .

ويتحول العميد عن مكتبه . ويمضى إلى باب الغرفة يفتحه وسارة تتبعه .. ثم يمد يده إليها مصافحا :

مع السلامة ! فتردد سارة الله يسلمك.

وتنصرف سارة ويهم العميد بإغلاق الباب فيظهر عليه اللص الذى كان قد سرق الألبوم من حجرة جابر بشقة سارة.. إنه الرائد مصطفى من ضباط المخابرات المصرية ..

الرائد مصطفى : تسمح يا أفندم ؟

العميد محمد حافظ : اتفضل يا مصطفى !

يدخل الرائد مصطفى .. ويغلق العميد باب الغرفة قائلا : خير إن شاء الله يا مصطفى !

فيجيبه الرائد مصطفى : جت رسالة شفرة من س ٨٩ فحواها: أن جابر هلال دخل بلدا عربيا من عدة أيام ثم اختفى.

يستغرق العميد محمد حافظ فى التفكير وقد أخذ الرسالة من الرائد مصطفى واتجه إلى مكتبه.. ويستطرد الرائد مصطفى فى كلامه : والله يا أفندم الدنيا بتدور بى « كل ما أتصور أن الأسرار اللى فى الشنطة وقعت فى أيدى المخابرات الإسرائيلية .

يلتفت العميد إلى مصطفى وهو يقول : الأهم من الشنطة جابر نفسه .. جابر عالم من أهم علماء الفضاء عندنا! وخبير فى تصميم الصواريخ على مستوى العالم كله.. صواريخ الظافر والقاهر ذات الرءوس النووية .

يسيطر القلق الشديد على الرائد مصطفى .. ويتطلع إلى العميد وهو فى ذعر قائلا : يعنى إذا تكلم ؟!

ويقاطعه العميد وهو يجز على أسنانه متمتما : تبقى مصيبة كبيرة !

* * *

غرفة التعذيب فى قلعة بالجبل

فى جزيرة صغيرة من الجزر المنتشرة بين قبرص واليونان قلعة محصنة بالجبال، تقع فى منطقة عسكرية بريطانية، وحيث تزاول الصهيونية بعض أنشطتها السرية، مما يدل على العلاقة الوثيقة بين الاستعمار البريطانى والصهيونية العالمية..

تحتمى القلعة بأحضان جبل عال.. ويظهر العلم البريطانى على سارية فوق قمة الجبل .. وعلى الطريق الجبلى الضيق تصعد سيارة جيب نحو القلعة .. يقودها موريس بسرعة رهيبة.. ويدور مع الطريق حول الجبل فى منحنيات وتعاريج.. ويبدو الوادى السحيق عند قاعدة الجبل مثل هادية رهيبة مرعبة ..

تقف السيارة بالقرب من باب القلعة ويهبط منها موريس .. ثم يتقدم من الباب العتيق .. ويبدو المكان خاليا تماما وموحشا ..

فى داخل القلعة توجد غرفة المراقبة، وهى غرفة مبنية من الحجارة فى تجويف صخرة.. وهى صغيرة نسبيا.. و بها فراش بسيط فى ركن منها وهو لعامل الحركة التليفزيونية.. وفى جانب من الغرفة أربعة أجهزة تليفزيونية متصلة بدائرة خاصة كتلك التى تستخدم فى المطارات العالمية .. فإذا مر شخص أمام أحد الأبواب ظهر على شاشة من الشاشات، وإذا مر آخر فى بهو من أبهاء القلعة ظهر على شاشة أخرى طبقا للنظام المصمم للقنوات المستخدمة .. فإذا اطمئن العامل

إلى من يراه على الشاشة.. استخدام أزرارا على لوحة أجهزة التليفزيون.. فإذا ضغط زرا أو مفتاحا معينا منها انفتح الباب كهربائيا.. وبالغرفة شباك صغير ذو قضبان حديدية.. وهو يواجه مرتفعا صخريا .. أما عامل اللوحة فهو رجل يهودى مسن ذو لحية مرسلة مدببة .. وأنف مدبب .. وشعر مرسل خلف رأسه .. ويضع بيريها فوق رأسه .. ويرتدى قميصا فوقه حمالة البنطلون ..

وتظهر أمام العامل على شاشة التليفزيون صورة موريس جيدا ثم يضغط بيده على أحد الأزرار فى اللوحة فينفتح الباب مرتفعا إلى أعلى.. ويدخل موريس من الباب هابطا إلى أسفل ..

ويمر موريس بسرداب مظلم طويل يؤدى إليه الباب العتيق الخارجى للقلعة .

وفى غرفة صغيرة من الغرف المبنية داخل جبل صخرى فى القلعة كان جابر هلال يقبع فى أحد أركانها .. وتبدو فى هذه الغرفة بعض نتوءات الجبل الصخرية وسط حجارة البناء المستوية والمنحوتة من الصخر فى أركان مختلفة من الغرفة .. بهذه الغرفة يوجد فراش بسيط لشخص واحد .. ومنضدة صغيرة ومقعد واحد.. وعلى المنضدة بلوك نوت وقلم جاف.. ولا تبدو بالغرفة نوافذ أو أبواب .. ولكن بها جدار صخرى يتحرك أفقيا بالكهرباء عند اللزوم لدخول الغرفة أو الخروج منها.. ويسقط من سقف الغرفة ضوء كهربائى مبهر جدا يحطم الأعصاب .. حيث يتأرجح يمينا ويسارا باستمرار.. ويفتقد فى الغرفة الإحساس باختلاف الليل والنهار ..

ومن كوة صغيرة بين نتوء الجبل يندفع ثعبان ضخم لا يظهر منه سوى رأسه.. ويهتز رأس الثعبان فى اتجاهات مختلفة .. ولا يظهر منه إلا رأسه ونصف جسده وهو يندفع منحرفا نحو جابر هلال.

ويلتصق جابر هلال بظهره إلى جدار الحائط وهو ممدد على الفراش.. جاحظ العينين فى حالة فزع شديد .. والثعبان يهتز زمامه محيطا به.. بحيث لا يستطيع جابر الإفلات من المصير الذى يواجهه.. ويبدو قميصه متسخا وعليه بقع دماء .. كما تظهر على جبهته كدمات وجروح مما يوحى بتعذيبه.. وفجأة ينفتح الجدار بحركة بطيئة .. فيلتفت جابر فى اتجاه الباب الجدارى الصخرى الذى يتحرك بالكهرباء .. ملتمسا النجاة.. فلا يرى إلا الحقيبة التى كان يحملها هو ولا تزال بها السلسلة التى كانت تربطها بمعصمه .. وهى مدلاة من يد شخص لا تبدو إلا قدماه داخل الغرفة.

ويظهر متجها متطلعا ناحية جابر والباب والجدار يتحرك ليغلق خلفه ويتقدم ليفى داخل الغرفة ثم يغلق الباب تماما.. ويبدأ الحوار بين جابر وليفى .

- جابر فى صوت مختنق بالفزع والثعبان يتحرك أمامه : الحقنى !

- ليفى فى غضب وحقد : فين المعلومات عن الصواريخ المصرية؟!

- جابر ملتمسا الإنقاذ : الثعبان ! الثعبان! يضرب ليفى الثعبان بالحقيبة فيندفع بعيدا عن جابر .. ويتنهد جابر فى ارتياح.. ويهم بالنهوض .. ولكنه يلزم مكانه على صيحة ليفى : زى ما أنت ! أين المعلومات الموجودة فى خلايا عقلك؟

ـ جابر : فى الشنطة.

يفتح ليفى الحقيبة التى تبدو ممزقة من الداخل لتفتيشها بدقة .. ويخرج منها مجموعة من الصحف والمجلات المصرية .. ويدفع بها فى وجه جابر قائلا : هى دى ؟

ثم ينظر ليفى إلى جابر صارخا وهو يتطلع للصحف فى غضب وحقد: جرايد ومجلات مصرية ! ده كل اللى فى الشنطة ؟!

يتنهد جابر فى ارتياح اطمئنانا إلى أن الأسرار لم تقع فى يد إسرائيل ويعلو وجهه الهدوء والارتياح .

ـ ليفى : هى دى أسرار الصواريخ المصرية ذات الرءوس النووية ؟!

ويهوى ليفى بالحقيبة على وجه جابر فيصاب بجرح من السلسلة المدلاة من الحقيبة فى جبهته وصدغه وتسيل منه الدماء ..

ـ ليفى ! قل! انطق يا جابر! تكلم لا تضيع الوقت علينا!

ـ جابر أنا فوجئت مثلك تماما..

لا أدرى ماذا حدث؟!

ـ ليفى فى لهجة الآمر: تعرف ترسم التصميمات .. وتقول كم قاعدة صواريخ فى البحر الأحمر والسويس والسد العالى والإسماعيلية؟

وكم صاروخا فى كل قاعدة ؟

ـ جابر مستنكرا : أنا ؟!

ـ ليفى : وتكتب تقريرا بكل تفاصيل الصواريخ!

ـ جابر : كيف ؟!

ـ ليفى مقاطعا: أنت تعرف أكثر مما كان فى الشنطة !

ـ جابر : إطلاقا .. إطلاقا ! ده أنا ... يقطع الثعبان استرسال جابر.. حين يندفع نحوه محيطا به .. ويهتز أمامه .. ويبدو أنه سيتمكن منه.. بينما يهم ليفى بالانصراف .. فيستوقفه جابر صارخا فى اختناق : لا.. لا.. سوف أتكلم ! سوف أتكلم !

يتحول ليفى عائدا ويضرب الثعبان بالحقيبة فيهم الثعبان بالاندفاع للخلف .. وينسحب مختفيا داخل الكوة .

وفى أثناء ذلك كان موريس يتطلع من فتحة ضيقة فى الصخور .. وهو فى غرفة متصلة بغرفة جابر عن طريق هذه الفتحة الضيقة .. وهى غرفة الاجتماع بالقلعة.. تبدو بسيطة بها عدد من المقاعد .. ومنضدة عليها زجاجة خمر .. وعدد من الكئوس .. وهى تشبه بقية الغرف من حيث إنها مبنية فى الصخور .. وتخللها أشعة الشمس من شباك ذى قضبان حديدية صغيرة مثل الكوة فى جدار الغرفة الصخرى..

ينحنى موريس على تلك الفتحة الضيقة .. حاملا جرابا جلديا أسطوانيا طويلا.. والثعبان يندفع بجسده داخل الأسطوانة.. وحين يظهر رأسه يضع موريس غطاء الجراب الأسطوانى فوق رأس الثعبان وبحركة عنيفة يغلق على الثعبان داخل الأسطوانة.. ثم يضع عينيه على الكوة متطلعا.

من خلال تلك الكوة يرى موريس جابرا عند نهاية الفراش واقفا .. وليفى يركله بقدمه فى بطنه فينطرح على الأرض وليفى أمامه غاضبا يصيح فيه: مصمم إنك ما تعرفش حاجة ؟!

ـ جابر : صدقنى .. ما أعرفش حاجة !

فى هذه الأثناء يترك موريس الكوة ويتجه إلى غرفة جابر.. فينفتح باب الجدار ليدخل موريس .. وليڤى يهوى على جابر بالحقيبة .. فيسمع صوت موريس : كفاية يا ليڤى ! كفاية !

يلتفت ليڤى إلى الباب ليرى موريس داخل الغرفة .. بينما الجدار يتحرك لينغلق .. فيكرر موريس نداءه : كفاية يا ليڤى ! ويتقدم داخل الغرفة متجها نحو ليڤى ليواجهه وبينهما جابر على مؤخرة الفراش: أنت ما فيش فى قلبك رحمة يا ليفى ؟!

ـ ليڤى فى نبرة خبيثة : تكونش سرحت فى أيام زمان ؟! وجابر فكرك بأخته سارة ؟!

يمسك موريس بكتفى ليڤى فى غضب قائلا :

مش شغلك !

ـ ليڤى فى هدوء : اصح يا موريس ! السكة انقطعت خلاص ! ما تقدرش ترجع !

فيهز موريس ليڤى بعنف قائلا : كفاية يا ليڤى !

ـ ليڤى مركزا كلامه : ما تقدرش تُسْلِم .. ولا تقدر تُعْلن إسلامك!

موريس يدفع ليڤى فى عنف وهو يصرخ فيه: كفاية! فيصطدم ليڤى بجدار الغرفة ويتكلم حاقدا إلى موريس : إحنا جزء من إسرائيل .. رضينا أو كرهنا.. دول كلمتين اتنين .. ما فيش فايدة .. علقهم فى ودانك .. اوع تنسى!

وينصرف ليفى ساخرا فى حقد وغضب وموريس يشيعه بنظراته أثناء انصرافه إلى باب الغرفة.. ويقف ليفى أمام الباب فيتحرك جدار الحائط ويخرج منه ليفى .. ثم يهبط الجدار مرة أخرى.

يخرج موريس منديلا يجفف به الدم المنبثق من فم جابر .. ثم يُعِينُه على الجلوس على الفراش البسيط.. ويقعد موريس على المقعد وهو ينتفض غضبا : عنادك هو السبب فى كل ده .. مش عايز تساعدنى ليه يا جابر ؟ أنا عملت المستحيل يا جابر قبل كده وأنت فاكر كويس .. علشان ما ينقلوكش لإسرائيل... خفت يعدموك هناك.. عرضت نفسى لمسئولية كبيرة .. تعهدت لهم بأنك حتتكلم .

ثم ينتقل موريس من على مقعد إلى جابر على فراشه ليهزه بعنف قائلا إن ما تكلمتش يا جابر .. مش حتموت لوحدك.. حيشنقونى أنا كمان .. ما تنساش أننا أصدقاء !

ـ جابر فى حسرة وألم : كنا أصدقاء !

ثم يدير جابر ظهره إلى موريس فى وضع جانبى ويستطرد فى كلامه:

كنا ولاد بلد واحدة .. لكم فيها زى مالنا .. نسيتم البلد اللى عشتم على خيرها .. وتربيتم فيها.. وشربتم من نيلها ؟!

ـ موريس فى انفعال : جابر !

ـ جابر وقد بدا عليه الإعياء انسقتم وراء دعوة الكره والحقد.

يمد موريس يده إلى جابر ليجذبه بحيث يواجهه قائلا: كفاية ! كفاية يا جابر ! ولكن جابر ينساق متابعا كلامة : رضيتم تبقوا مخالب للمستعمرين!

فيمد موريس يده الثانية على كتف جابر الأخرى صارخا: قلت لك كفاية !

ـ جابر : سماسرة للقتل والتخريب والتدمير .

ينتفض موريس ويحاول جاهدا أن يكبح جماح انفعال العدوان .. فتتراخى يداه عن كتفى جابر.. ويتحول عنه محاولا استعادة هدوئه .. ويدير ظهره إلى جابر قائلا فى حدة وحسرة: ليه كده يا جابر ؟!

جابر ينهض مندفعا فى مواجهة موريس مبررا سلوكه: غصب عنى ! مستقبلنا.. مصيرنا .. الإسرائيليون أصبحوا دمويين .. عايزين الأرض وخلاص !

ـ موريس منتفضا: بلاش نتكلم فى السياسة !

يتهاوى جابر على فراشه فى إعياء لاهثا .. فيتقدم منه موريس واضعا قدمه فوق الفراش منحنيا على جابر :

لازم تقدر العواقب يا جابر.. فكر فى سارة..

أنا خايف عليها !

ـ جابر مندفعا فى اضطراب حصل لها إيه ؟!

يسحب موريس قدمه متحولا عن جابر.. ويظل واقفا بينما جابر يجلس على فراشه خلف موريس.

ـ موريس : مين كان يظن أن الظروف حتجمعنا مرة ثانية .. جابر أنا سأحقق حلمى القديم .. وأشهر إسلامى وأتزوج سارة !

بينما يجز جابر على أسنانه.. يلتفت إليه موريس فى حركة خاطفة ليرى رد فعل المفاجأة عليه .. فيتطلع جابر إلى أعلى مصطنعا ابتسامة باهتة مترددة .

ينحنى موريس جالسا بجوار جابر ممسكا بكتفيه، وفى أسلوب استشارى يصطنع فيه منتهى الرقة والصدق والتحمس للفكرة.. بينما جابر مستغرق فى التفكير .. قال موريس لجابر:

جابر ! اكتب لها رسالة يا جابر! قل لها إن أصدقاءك فى مصر.. سوف يتصلون بها.. وسيقومون بتسهيل السفر لها.. وسوف يحضرونها عندك فى سلام ..

جابر! سوف نتقاضى خمسة ملايين دولار أمريكى.. وسوف نعيش فى أوروبا أو فى أمريكا .. سنصبح ملوكاً !

يهز موريس جابرا.. فيخرج جابر من شروده وذهوله مجيبا على موريس : هه!

ـ موريس : سأتركك لتكتب الرسالة !

ينصرف موريس بينما يظل جابر غارقا فى التفكير .. ويتجه موريس إلى غرفة الاجتماع بالقلعة .. وهى الغرفة المجاورة لغرفة جابر .. ولا

تصل بين الغرفتين إلا تلك الكوة الصغيرة فى نتوءات الصخر..

يدخل موريس غرفة الاجتماع فيجد ليڤى وحاييم يجلسان حول المنضدة .. وعلى المنضدة زجاجة خمر وعدد من الكئوس .

حاييم يشرب من كأسه رشفة .. بينما يتطلع ليفى ناحية موريس الذى دخل يتمتم قائلا :

لا فائدة ! لا فائدة!

ـ ليڤى : هو فاهم أننا لن نقتله قبل أن يتكلم !

ـ يجز حاييم على أسنانه فى حقد ويقول :

سوف يتكلم .. عندما يرى ما سيحدث لأخته سوف يتكلم وسوف يستسلم .

ثم يتجه حاييم إلى موريس يسأله : هل طلبت منه أن يكتب رسالة لأخته ؟

فيجيب موريس : نعم .

ـ ليڤى : وهل وافق ؟

وهنا يدق حاييم المنضدة بقبضة يده فى غضب وإصرار قائلا : سوف يكتب لها.. ليس فى ذلك شك! ثم ينهض حاييم مستطرداً فى كلامه : إما طمعا فى الخمسة ملايين دولار .. وإما من أجل أن يدل رجال المخابرات المصرية على مكانه هنا .. سوف يكتب بالضرورة! بينما يمضى حاييم مبتعداً قليلا..

يعقب ليڤى قائلا :

مغفل ! مغفل ! فيلتفت حاييم إلى ليڤى وموريس :

أنا سوف أعرفهم مكانه فى الوقت المناسب.. وسوف أصطاد أكبر رجالهم فى المصيدة..

ثم يوجه كلامه إلى موريس : موريس.. انظر من الكوة.. وتطلع إليه.. واعرف إن كان يكتب الرسالة أم لا ؟

يمضى موريس إلى الكوة.. يطل منها على غرفة جابر.. فيرى جابرا يجلس على فراشه ممسكا بقلم يضعه على شفته .. مستغرقا فى تفكيره...

* * *

رسالة من تحت الباب

تجلس سارة في صالة مسكنها بشارع عدلي.. بين يديها كتاب فرنسي مفتوح .. ولكنها قد شغلت عنه بالاستغراق في التفكير.. وبينما هي شاردة إذا بصوت دادة فاطمة تناديها: يا ست سارة!

تنتبه سارة من شرودها.. وتلتفت تجاه الدادة : نعم يا دادة!

وتتقدم دادة فاطمة من سارة وتجلس بالقرب منها وهي تتثاءت قائلة:

مش تقومي تنامي بقى يا ست سارة !

ـ سارة : لسه بدري .. قومي نامي أنت يا دادة .

تنصرف دادة فاطمة في اتجاه غرفتها.. بينما تتطلع سارة إلى الكتاب..

تحاول القراءة.. فتضيق بالكتاب وتنحيه عنها ..

وفجأة تسمع صوت أقدام أمام باب المسكن.. فتلتفت سارة ناحية الباب.. وقد انتابها الرعب والتوتر والقلق.. وإذا بها تجد رسالة داخل مظروف،تندفع إلى الصالة من عقب الباب.. وتندفع سارة إلى الباب لتلتقط الرسالة.. وتهم بفضها .. غير أنها سرعان ما تندفع لفتح الباب وتخرج إلى السلم.. فإذا برجل أصلع يميل إلى القصر والسمنة. يضع نظارة سوداء على عينيه .. يهبط درجات السلم مسرعا .

وتهبط سارة مسرعة خلفه.. فيندفع الرجل خارجا من باب العمارة.. ليركب سيارة سوداء كانت تنتظره وموتورها دائر ويجلس على مقعد القيادة له زميل مريب .. والسيارة من نوع الروزارايس الأسود.

تندفع السيارة منطلقة مع اندفاع سارة خارجة من باب العمارة .. وقد علقت بصرها بالسيارة.. وهى ما زالت تحمل مظروف الرسالة معها.. وأخذت تتأمل انطلاق السيارة فى جوف الليل البهيم وهى مرتعدة من الخوف.. فأخذت بعد اختفاء السيارة عن نظرها تتأمل الرسالة فى تفكير ورعب.

تصعد سارة إلى شقتها فى بطء وتثاقل على درجات السلم حتى تصل إلى باب الشقة الذى تركته مفتوحا .. فتدخل متهالكة وتغلق الباب خلفها فى حدة.. وترتمى على الأريكة بصالة بيتها.. حائرة ماذا تفعل ؟ وبطريقة لاشعورية وجدت نفسها تفض المظروف وتبدأ فى قراءة الرسالة .. على لهفة وعجل .. ولكنها كانت تتوقف عند بعض العبارات التى تثير دهشتها ورعبها فى آن واحد.. وأخذت تنتابها رعشة فى جسدها كله ... وهى تتمتم ببعض الكلمات والعبارات التى كتبها لها جابر فى الرسالة .. وهى لا تكاد تصدق ما تقرأ.. وتتساءل ماذا حدث لجابر ؟ هل خان وطنه ؟ ثم تعود وتنفى هذا الظن فى نفسها : لا .. لا يمكن أن يخون جابر وطنه! ثم تعود لقراءة الرسالة.. فيزداد ظنها وتوشك أن تصاب بغثيان أو بغيبوبة مما تقرأ ..

وأخيرا أخذت تطوى الرسالة وتضعها فى مظروفها.. وجلست تبكى بكاء حارا .. حتى هدأت بعض الشيء.. واستولت عليها الحيرة .. ماذا تفعل الآن ؟ وماذا سيكون ردها على رسالة أخيها .. وعلى ما جاء فيها ؟ كيف ستتصرف ؟ هل تلبى ما طلبه منها ؟

كيف تتصرف؟ هل تلبى ما طلبه منها ؟ أما ماذا ؟

وفجأة تذكرت رقم التليفون الذى كتبه العميد محمد حافظ فى ورقة وأعطاها إياها.. وطلب منها أن تتصل به فى ذلك الرقم إذا جد شىء ..

انتفضت مسرعة إلى حجرة نومها .. وتناولت حقيبة يدها التى كانت قد وضعت بها الورقة التى بها رقم تليفون العميد حافظ وأخرجتها.. وأسرعت إلى تليفونها لتطلبه.. وهمت أن تدير القرص .. ولكنها توقفت .. وأصابها جمود .. وكان تفكيرها يشك.. هل تتصل به فى ذلك الوقت المتأخر من الليل؟ وهل تتصل به لتخبره بموضوع الرسالة أم لا ؟ إنها تخشى أن يصاب أخوها بأى أذى أو ضرر !

ولكنها بعد التروى قررت الاتصال به وهى واثقة من نفسها وواثقة فى تصرفات العميد حافظ .. ربما كان ذلك فى مصلحة أخيها جابر. بل فى مصلحة الوطن كله..

وفعلا أدارت رقم التليفون.. فرد عليها العميد محمد حافظ بنفسه.. فأخبرته بما حدث .. وبمضمون الرسالة التى وصلتها .. فطلب منها أن تحضر إليه فورا فى العنوان الذى أملاه عليها.. وأرسل لها سيارة خاصة لتنقلها إلى ذلك العنوان.. وكان اللقاء فى منزل خالة العميد.

ذهبت سارة إلى مسكن خالة العميد الذى استقبلها بترحاب .. وأدخلها إلى حجرة الصالون.. وهو صالون ذو طراز كلاسيكى فاخر

يوحى بالقدم، والحجرة مزينة بزينة فاخرة .. قدمت الرسالة إلى العميد الذى تناولها منها وفتحها على الفور وأخذ يطالعها بجوار المنضدة التى فى وسط حجرة الصالون.. بينما سارة اتجهت إلى أحد المقاعد تهم بالجلوس وهى تقول: مش عارفه إزاى ما خفتش .. جريت وراه لحد باب العمارة.. لكن للأسف مالحقتوش!

فيسألها العميد وعيناه مسمرتان على الرسالة دون أن يلتفت إليها: أصلع وسمين؟!

فتجيبه سارة وهى فى دهشة من معرفته بذلك :

فيعود العميد يسألها: وركب عربية سودة روزا رايس؟

ـ سارة فى إعجاب : أيوه !

ويلتفت العميد فجأة إلى سارة والرسالة فى يده .. ويسألها : هل متأكده أن الجواب ده بخط أخوك؟

وهنا تتردد سارة طويلا .. فالرد بالإيجاب حكم على أخيها بالخيانة، وأخيرا تهز رأسها إيجابا وهى تجهش بالبكاء .

ـ العميد : إحنا قلنا نشك بس!

ـ سارة باكية: هو جابر فين دلوقت ؟!

ـ العميد : معلوماتنا أنه دخل إلى بلد عربى واختفى !

ـ سارة مهمومة : اختفى ؟! يعنى ....؟ (وهى تقصد : هل خان؟)

ـ العميد : ما أقدرش أجزم أنه باع نفسه لليهود!

ـ ساره فى انتحاب شديد : جابر يخون بلده ؟! أنا لا أصدق!

ـ العميد : فى الحالة دى يبقى عايز يسحبك معه وينسى مصر نهائيا .

ـ سارة فى رفض قاطع وهى تخرج منديلا من حقيبتها : مش ممكن مش ممكن !

ـ العميد : وجايز مايكونش سلم ولا خان وطنه وإخوته!

ـ سارة كالغريق الذى يتعلق بقشة : ؟!

ـ العميد : وقع فى أيدى المخابرات الإسرائيلية..

الموساد..

ـ سارة مؤكدة على كلام العميد وهى تجفف دموعها : أيوه ! ثم تعيد المنديل إلى الحقيبة.

ـ العميد : وما نفعش معه أى تهديد.. وعلشان كده فكروا يهددوه بك.. يا سارة..

ـ سارة مندهشة : أنا ؟!

ـ العميد : الشيء الوحيد اللى يخلى أى إنسان يستسلم مهما كانت شجاعته .. ابنه ... أخوه.. أو أمه أو ابنته...

ـ سارة مندفعة فى إصرار وهى تنهض من مكانها:

أنا مستعدة أضحى لحد الموت عشان أنقذ أخويا .. وأثبت أنه مش خاين ..

أخويا رجل وطنى.. بيموت فى تراب مصر!

وبينما العميد محمد يربت على كتفها إعجابا بها.. إذ بدقات

استئذان على باب الصالون.. فيلتفت العميد ناحية الباب مناديا : تفضلى يا خالتى!

تدخل خالة العميد وهى سيدة وقور فى حوالى الستين من عمرها.. وقد خط الشيب شعرها .. وهى تغطى رأسها بطرحة سوداء.. وترتدى فستانا داكنا.. وعلى وجهها مسحة من النور القوى.. فهى سيدة مؤمنة.. عابدة.. لا تترك فرضا.. حافظة للقرآن .. محافظة على تلاوته.. تتقدم الخالة من ابن أختها العميد محمد حاملة صينية عليها كوب من الليمون ..

ـ العميد موجها كلامه إلى خالته : أنا عارف أنى بأضايقك.. إنما الظروف عايزه كده !

ـ الخالة : بس أنت تعال كل يوم ..

يتناول العميد من خالته الصينية.. وتسلم الخالة على سارة .. وتتأملها فى إشفاق .. مصطنعة ابتسامة باهتة.. ثم تستأذن من سارة بالانصراف.. وتنصرف الخالة.. بينما العميد يقدم العصير .. وروقى دمك.. أحسن أنت قدامك مهمة صعبة قوى!

تتناول سارة كوب العصير.. وترشف رشفة .. وفكرها مشغول .. والعميد يضع الصينية على المنضدة .. ملتفتا إليها.. فتسأله : لكن جابر لماذا طاوعهم وكتب هذه الرسالة ؟

ـ العميد مبتسما: إنه خيط يوصلنا لمكانه..

وسنصل بإذن الله من أجل مصر!

ويشرق وجه سارة مضيئا بالأمل.. ثم تأخذ فى رشف كوب الليمون حتى آخر رشفة من العصير.. والعميد يقول: بس المهم تنفذى كل اللى طلبوه منك .. تقفى فى البلكونة بفستان أحمر.. من الساعة ستة للساعة سبعة .. وإذا اتصل بك جورج المالكى...

وهنا تفاجأ سارة.. فتنهض سائلة : مين؟

ـ العميد : الرجل الأصلع!

وتضع سارة الكوب على الصينية فوق المنضدة.. والعميد يواصل كلامه: إذا اتصل بك هو أو غيره.. فحاولى أن تطمئنيهم على الآخر.. بس من غير مبالغة!

ونتقابل هنا إذا كان فيه داع .. بعيد عن أى شبهة..

وتتناول سارة حقيبة يدها.. ويقول لها العميد:

تفضلى ! فتتقدم من باب غرفة الصالون يتبعها العميد ثم يستوقفها:

ـ العميد : أنت مش مخطوبة؟! ليه ما تتجوزوش بسرعة ؟

ـ سارة : دى مسألة مش فى إيدى!

ـ العميد : سفرك مع زوج يطمئننى عليك أكثر.. حاولى أن تقنعى ربيع بهذا الأمر!

ـ سارة : سأحاول !

ـ العميد : مع السلامة !

تنصرف سارة بينما العميد يظل واقفا يشغله التفكير فى أمر ما .

* * *

عملية الفستان الأحمر

غرفة صغيرة بها شباك يطل على شارع عدلي.. ويواجه شرفة مسكن سارة.. وبالغرفة جهاز للأشعة مما يستخدم فى علاج البروستاتا.. وبالقرب منه سرير خشبى.. وتمتد وصلة من الجهاز إلى لبادة مربعة توضع تحت مؤخرة المريض.. ووصلة أخرى تمتد من الجهاز إلى أسطوانة توضع فى نهاية بطن المريض.. فتتم الدورة الكهربية.. وبالغرفة أيضا مقعد معدنى صغير .. وشماعة حائط.

هذه الغرفة هى غرفة الكهرباء فى عيادة الدكتور ميشيل.. الطبيب اليهودى.. وهو ذو نظارة طبية سميكة.. وملامحه يهودية ظاهرة.. ويبدو غليظا كالجزار لا كالطبيب.. جهاز الأشعة يصدر عنه أزيز التيار الكهربائى المستمر.. وجورج المالطى.. وهو الرجل الأصلع المريب ممدد على السرير الخشبى.. وتحته اللبادة.. ممسكا بالأسطوانة التى توضع على البطن فى يده بعيدا عن بطنه .. مرتديا القميص، والبنطلون فقط وسترته فوق الشماعة ..

ينفتح باب الغرفة فيسرع جورج بوضع الأسطوانة على بطنه.. وحين يتبين أن الداخل هو الدكتور ميشيل يعود ويرفع الأسطوانة فى يده..

يغلق الدكتور باب الغرفة ويتعمد رفع صوته قائلا :

جورج ! هيه؟ إزى الحال ؟

– جورج مع تعمد رفع صوته أيضا: الحمد لله.. أحسن قوى .

ثم يهمس جورج فى أذن الدكتور : شوفها واقفة فى البلكونة.. والا لا!

يمضى الدكتور ميشيل إلى شباك الغرفة ويفتحه فتحة ضيقة تتسع لإطلالته فقط ويطل منها.. فيرى سارة تقف قلقة فى شرفة غرفة نومها، المطلة على شارع عدلى وبالتالى مطلة على شباك الدكتور ميشيل.. مرتدية فستانا أحمر.. منعكسا عليها ضوء الغرفة .

يتحول الدكتور ميشيل عن شباك الغرفة ملتفتا إلى جورج المالطى الذى لا يزال راقدا على السرير الطبى.. ويهز الدكتور رأسه إيجابا ويهمس لجورج :

واقفة فى البلكونة !

ـ جورج : لابسه إيه ؟

ـ ميشيل : فستان أحمر .

ـ جورج : تبقى نفذت التعليمات..

عايزك تتأكد أنها ستظل واقفة هكذا حتى الساعة السابعة !

فيلتفت الدكتور للشباك .. وهو يهز رأسه بالإيجاب . وينهض جورج وينصرف .

لا تزال سارة واقفة قلقة بالشرفة وهى مرتدية فستانها الأحمر .. مستندة إلى حاجز الشرفة.. ومطلة على الشارع.. وينعكس عليها ضوء غرفة النوم. يأتى ربيع فى هذه اللحظة .. ويدخل شقة سارة.. فهو يمتلك مفتاحا لها.. فيفتح الباب ويتجه إلى الشرفة مناديا : سارة ! سارة!

ولكن سارة كانت منشغلة بمتابعة الشارع.. مما جعلها لا تنتبه لنداء ربيع.. بينما يظل هو مقبلا من غرفة النوم على الشرفة وهو بملابسة الرسمية.. مكررا نداءه: سارة ! سارة!

فتلتفت سارة فى اضطراب : ربيع!

ويهم ربيع بدخول الشرفة فتخشى سارة أن يراه أحد من شبكة التجسس الإسرائيلية الخطة الموضوعة..

- ربيع : مساء الخير!

- سارة محاولة أن تمنع ربيع من دخول البلكونة:

مساء النور (فى همس).. خليك عندك!

يفاجأ ربيع بذلك الأمر.. فيسأل : لماذا؟

ولكن سارة تكرر تحذيرها: ما تدخلش البلكونة! يستغرق ربيع فى الضحك.. وتتلفت سارة حولها قلقة مضطربة حائرة.. وعندما يراها ربيع هكذا يقول لها : تكونيش بتحضرى عفاريت؟

أتاريك لابسة أحمر!

ويهم بدخول البلكونة فتصيح سارة فيه لتمنعه: ربيع ! أرجوك ما تفسدش كل حاجة ! فيقف ربيع مذهولا مأخذوا : حاجة إيه ؟! فترجوه سارة أن ينتظرها فى الأنتريه.. وتتطلع لساعتها ثم لربيع فى توسل ورجاء .. ربع ساعة بس! ثم تطل على الشارع..

ـ ربيع غاضبا : أما ييجى دورى؟! هه؟!

ـ سارة ملتفتة إلى ربيع : عشان خاطرى!

ـ ربيع : أنت إيه اللى شاغلك فى الشارع؟!

ـ سارة : مش وقته يا ربيع !

ـ ربيع : كده ! فيه إيه ؟!

يرفع يد سارة التى كانت تمنعه بها عن الظهور فى البلكونة.. وينصرف .. وتسرع سارة بالاندفاع خلفه منادية : ربيع!

وتتعلق بذراعه قائلة : ربيع ! افهمنى!

ينحى ربيع يدها فى غضب .. وينصرف .. وتهم سارة بالاندفاع خلفه.. ولكنها تتسمر فى مكانها لتكمل دورها فى الخطة.. إنقاذا لأخيها والدموع تسيل على خديها وهى تنادى فى صوت مختنق: ربيع ! ربيع!

فى هذه اللحظة كان النقيب عادل وهو الشخص المريب الذى كان يتبع سارة وربيعا وهما عائدان من المطار.. يوجد فى مسكن المراقبة بشارع عدلى.. وهو المسكن الذى يقع تحت شقة سارة بالضبط فى الطابق الأسفل تماما..

ينظر النقيب عادل إلى ساعته.. فيجدها تشير إلى السابعة تماما.. وعندما سمع جرس التليفون يرن فى مسكن سارة.. فيسرع إلى جهاز التسجيل ويرفع بلاج التركيبة الصوتية الشاملة من الجهاز .. ويضع مكانه بلاجا آخر لتركيبة خاصة بالمكالمات التليفونية ويدير جهاز التسجيل ..

يدور الشريط على الجهاز مع توقف جرس التليفون .. وعادل ينصت فى اهتمام للحديث الدائر .

ـ صوت سارة : آلو!

ـ صوت جورج : عملية الفستان الأحمر اتأجلت النهارده .. الظروف عايزه كده .. سوف أتصل بك مرة أخرى!

ثم يظهر صوت وضع سماعة التليفون .. ويتوقف الشريط على الجهاز .

سارة فى مسكنها تضع سماعة التليفون بالتالى .. ثم تستغرق فى تفكير عميق .. وهى مازالت بفستانها الأحمر.

كان جورج المالطى يحدث سارة من أحد محال البارات المجاورة.. ويوجد تليفون هذا البار معلقا عند نهاية أحد الممرات الصغيرة.. بعد إجراء المكالمة السابقة مع سارة.. يتقدم جورج من ناحية كشك التليفون إلى البار (الجزء المخصص لشرب الخمور داخل المحل) حيث يوجد داود الذى انعكس وجهه على مرآة خلف البار.. وهو جالس على أحد مقاعد البار العالية.. يشرب قدحا من الخمر وداود رجل ذو تقاطيع يهودية.. طويل القامة.. أشيب الشعر.. مدبب الأنف .. رفيع الجسم ..

وينحنى جورج على داود .. ولكن داود لا يلتفت إليه بل يقول له إذ يراه بجواره فى المرآة: شوفها كده بتكلم حد ؟!

ـ جورج وقد استغلق عليه الأمر: إزاى؟

ـ داود : مغفل.. اضرب لها تانى.. وشوف إذا كان تليفونها مشغول والا لا!

بدا جورج معجبا بذكاء داود وهو يتحرك ناحية كشك التليفون ويدخله.. ويبدو خلف زجاج الكشك وهو يرفع سماعة التليفون ويدير القرص.. يرن جرس التليفون فى مسكن سارة.. وهى مازالت جالسة على مقعدها بالفستان الأحمر.. فتهم بأن تمد يدها إلى سماعة التليفون .. فإذا بباب صالتها ينفتح ويظهر منه النقيب عادل ويصيح فى سارة لاهثا:

ما ترفعيش السماعة!

وكانت يد سارة على سماعة التليفون فالتفتت فجأة إلى الباب على صوت النقيب عادل.. فنهضت وهى متعجبة .. لأنها ترى هذا الشخص لأول مرة.. فتسأله : حضرتك مين؟ ويتقدم منها النقيب عادل قائلا: ٧٣.. دبابة أم كلثوم!

يظل جرس التليفون يدق.. وتبدو سارة حائرة.. فهل ترد على التليفون أم لا ؟!

ـ النقيب عادل: ردى على التليفون!

ترفع سارة سماعة التليفون وتظل تهتف : آلو ! آلو! ثم تهز رأسها لعادل بمعنى أن أحدا لا يجيب.. فيشير إليها عادل بيده أن تضع السماعة.. فتضعها.

يهم عادل بالانصراف ويعتذر لسارة عن الإزعاج.. ثم ينصرف .. وتظل سارة فى مكانها وقد أخذها التفكير والشرود .

* * *

موقف حرج

كانت بابى الأمريكية فى زيارة للكابتن ربيع فى منزله بالجيزة.. ودار الحديث فى الجلسة عن تاريخ مصر وكان ربيع مرتديا الروب دى شامبر .. وبابى مرتدية فستانا أنيقا.. واستغرقا فى الحديث من خلال صور تاريخية لمصر فى أحد الألبومات.. وهما على الأريكة الخيزرانية.. وقد استولى عليهما الضحك فى لحظة .. فمالت عليه بابى تقبله .. فاستسلم لها ربيع.. وطالت القبلة الحارة.. وبانتهاء القبلة.. أخذت بابى تتأمل ربيعا منتشية ومعجبة به.. ولكنه بدا مخمورا جدا.. وقد شرد بفكره بعيدا عنها.. فى شىء يعكر عليه صفوه.. تهم بابى بتقبيله مرة أخرى.. فيستوقفها ربيع متسائلا: هل أنا وحش يا بابى؟ هل دمى ثقيل؟

فترد عليه بابى: شربات..وتستغرق فى الضحك.. وتسأله : فيم تفكر؟ فيجيبها بأنه مشغول شويه! فتهم بابى بوداعه وهى تشد على يده وقد نهضت قائلة: وداعا أنت مدهش!

وينهض ربيع قائلا لها: مع السلامة! فترد عليه بابى وهى تحاول أن تقلد الأسلوب البلدى بلكنة أمريكية فى دلال: إلى اللقاء !

ـ ربيع : طب لو طلع لك واحد فى النمرة؟

ـ بابى : مع السلامة!

ـ ربيع: شاب حليوه صغير!

ـ بابى : إيه ! يونج مان؟!

ـ ربيع : هل تتركينى فورا؟

ـ بابى وهى تنظر فى عينيه نظرة حب واحترام:

نيڤر (أبداً) .

ـ ربيع وهو يودعها : آمال إيه اللى بيحصل ده؟ ده أنا ربيع.. الكابتن ربيع.. قلبى طيب ومخلص جدا يا بابى!

تستغرق بابى فى الضحك وتمد يدها فى إغراء تدعو ربيعا إليها: دارلنج ! ويميل ربيع عليها.. ويهم بتقبيلها.. فيدق جرس الباب فجأة فيعتدل ربيع فى ضيق ..

ـ بابى متضايقة : أوه!

ـ ربيع :

دقيقة واحدة لو سمحت !

تشيع بابى ربيعا بنظراتها وهو يمضى من الشرفة إلى الصالة ليفتح باب المسكن.. وبالصالة أنتريه مودرن مع إصيص نباتات الظل.. وتؤدى الصالة إلى مدخل مربع به مرآة ذات شماعة وعلى جانبيها مقعدان صغيران..

ربيع يفتح باب المسكن فيفاجأ بسارة وهى فى فستانها الأحمر على الباب.

ـ ربيع : سارة!

ـ سارة مبتسمة داخلة : كنت فاكرنى حاسيبك زعلان؟!

ربيع يبالغ فى غضبه .. محاولا أن يتخذ من غضبه منها سببا فى عدم دخولها المسكن فى وجود بابى.. فتلتفت إليه سارة متعجبة لصدوده.. فيقول لها ربيع : زعلان! وكل واحد حر فى تصرفاته!

تبتسم سارة قائلة : تسمح لى نتكلم معاً !

ـ ربيع : اتفضلى ! تحت أمرك !

ـ سارة فى ابتسامة : إحنا لازم نفهم بعض أكثر من كده !

ـ ربيع: يعنى إيه؟! ما فيش فايدة؟!

يغلق ربيع الباب.. ويتقدم داخل الصالة.. وسارة وراءه تبتسم .. وهو يشير إلى أحد مقاعد الصالة قائلا لها: تفضلى ..

ولكنها تهم بالتوجه إلى الفراندة وتقول : الفراندة أحسن!.. فيندفع ربيع مسرعا ليحول بينها وبين الباب المؤدى إلى الفراندة: خليك عندك لو سمحت! وكانت بابى واقفة عند باب الفراندة.. منصتة فى غضب .. بحيث لا تراها سارة..

ـ ربيع لسارة : ماتدخليش الفراندة!

ـ سارة ضاحكة فى استغراب : تكونش بتحضر عفاريت أنت كمان؟!

وهنا تظهر بابى على باب الغرفة فتفاجأ بها سارة..

ويقول ربيع لسارة : آهى طلعت ! تكلمى أنت معها لو سمحت !

ـ بابى: هذا مشهد تمثيلى مش حب حقيقى !!

- سارة : أنا حأعمل ريبورت لشركتك!

- ربيع هامسا فى نفسه : إديلو!

- بابى و: مدهش إيه

- ربيع : مدهش إزاى !!

وتمضى سارة إلى باب المسكن.. متطلعة إلى بابى مشيرة عليها بالخروج .. ويقف ربيع حائراً..

- سارة : بالسلامة باربارا..

- بابى : ربيع .. بتطردنى وأنت ساكت ..

- سارة موجهة كلامها إلى ربيع: قل لها تتفضل!

- ربيع حائر بين الاثنين : طيب بس ..

- سارة فى تقرير مندفعة إلى الباب: أنزل أنا!

- ربيع يندفع نحوها ويحول دون انصرافها: تنزلى إزاى يا سارة؟!

ثم يربت على كتفيها قائلا: ارتاحى أنت فى الفراندة!

فتمضى سارة إلى الفراندة.. بينما ربيع ينادى على بابى.. فتقبل عليه بابى فى غضب.. وقد أدركت أنه اختار سارة.. وتواجهه بأنه مخادع كبير.. وتمضى إلى باب المسكن.. فيمضى خلفها ربيع معتذرا: أعمل إيه.. الإنسان أحيانا يبقى الاختيار صعب بالنسبة له !

- بابى فى صوت خافت : دى مجنونة .. وممكن تعمل لنا دوشة فى المطار!

- ربيع وهو يفتح باب المسكن: اوع تكونى زعلانة!

- بابى وهى منصرفة: أنت مخادع كبير!

ـ ربيع : مع السلامة يا حياتى!
ثم يغلق ربيع الباب ويتنهد فى ارتياح .
بعد خروج بابى.. تتحرك سارة إلى ركن فى الصالة.. وتجلس بجوار جهاز التسجيل وهى فى حالة تأمل.. وتقوم بتشغيل الجهاز.. فتصدر منه أغنية.. ويتجه ربيع إلى البار ويملأ كأسا من الويسكى أخذ يشرب منها.. وفى يده الأخرى زجاجة الويسكى مازال يحملها .
ـ سارة أنا آسفة يا ربيع ! لكن أعمل إيه؟! ماطقتش المنظر ده!
ـ ربيع وهو يشرب الكأس : أمال أنا طقته إزاى؟
ـ سارة : ربيع .. أنت بتشك فىّ؟
ـ ربيع : ليه اتغيرت فجأة لما جيت بيتك يا سارة؟!
ـ سارة : أنا مش خاينة زيك !
ـ ربيع: والبلكونة ؟!
ـ سارة بامتحنك .. عايزه أشوفك حتغير على والا لأ!
ـ ربيع : كده ؟ يعنى حتشوفى حبى لك قوى والا لأ!
تضحك سارة وهى تضع شريطا لأغنية فى جهاز التسجيل.. فيدور الجهاز على أغنية أم كلثوم التى تقول فيها للشاعر حافظ إبراهيم شاعر النيل :
أنا إن قدر الإله مماتى!
ـ ربيع : خلاص .. أصدق؟! إذا كنت عايزانى أصدق.. لابد أعرف سر تغيرك فجأة !
ثم يأخذ كأسا آخر من الويسكى يدفع بها إلى جوفه ..

بينما تقبل عليه سارة مبتسمة وتشير إليه بالجلوس على الأريكة بالصالة والتحدث.. وتقول له:

اسمع أغنية أم كلثوم العظيمة.. يا أخى شوف عظمة مصر.. أهرامات مصر.. أبطال مصر.. رجال مصر..

وتمد إليه يديها فينسحب معها .. ويجلسان معا يتحدثان عن عظمة مصر فى حديث هامس ..

وتقرب سارة رأسها منه تداعبه.. فيحاول ربيع أن يجاريها فى الحديث وهو يسمعها شبه مخمور ويداعبها فى رقة .

ـ ربيع : ياه! أنا أول مرة أعرف أنك وطنية وبتحبى مصر كده!

ـ سارة : أنا بأموت فى تراب مصر!

لقد حاولت سارة فى تلك الليلة أن تتجاوز عن كل شىء.. عن وجود بابى فى بيت ربيع.. وعن شربه الويسكى بحيث أصبح فى حالة سكر أو أشبه بذلك.. كل هذا فى سبيل الوصول إلى هدفها فى الزواج منه ..

ينهض ربيع ويضع أسطوانة لموسيقى راقصة هادئة على جهاز البيك آب.. و مد يديه لسارة ليراقصها فتستجيب .. ومع الرقص يحاول ربيع تقبيلها.. فتفلت منه.. ويتقدم منها ربيع وهى محصورة فى الزاوية ويحتضنها.. وهى تحاول الإفلات منه فلا تستطيع.. وباستناد ربيع إلى باب غرفة النوم.. ينفتح الباب ويجذب ربيع سارة نحوه.. ويختل توازنه.. فيسقط بها داخل الغرفة .. وينغلق الباب تلقائيا مع انتهاء الأسطوانة محدثة صوت خرفشة ..

حفل زفاف

جرس التليفون يرن باستمرار فى حجرة نوم ربيع.. وربيع يغط فى النوم على بطنه بعرض السرير.. وساقاه مدلدلتان بجانب السرير.. وأشعة الشمس تنعكس من شباك الغرفة.. ورنين التليفون لا ينقطع ..

يفتح ربيع عينيه فى تثاقل .. ويتلفت حوله فى تعجب.. ثم يعتدل ساحبا ساقيه ..

ـ ربيع لنفسه : أنا إيه اللى شقلب حالى كده؟!

ويلتفت إلى نفسه فيجد نفسه عاريا إلا من الفانلة والدى شامبر (الروب).. ويتنبه إلى جرس التليفون .. والتليفون على الكمودينو.. فيزحف إليه ربيع .. ويمد يده ويرفع السماعة .. وهو يتثاءب : آلو !

وكانت سارة على الجهة الأخرى فى منزلها .. بملابسها الرسمية وهى ممسكة بسماعة تليفونها.. بصالة منزلها .. متأهبة لمغادرة المنزل متجهة للعمل.. ويدور الحديث التالى بينهما هاتفيا :

ـ سارة: صح النوم يا ربيع بيه ! صحيت خلاص ؟!

ـ ربيع : أيوه صيحت يا سارة .. صباح الورد على الورد ..

ـ سارة أنا رايحة المطار.. عايز حاجة؟!

ـ ربيع : لا.. مش عايز حاجة .. مع السلامة.. أنت مش عايزه أى خدمة ؟!

ـ سارة: خدمة إيه يا متوحش !

ـ ربيع : متوحش ؟! هو حصل منى حاجة ؟

ـ سارة : ما أنت ماكنتش دريان بروحك!

ـ ربيع : أنا فعلا .. باين عليّ أنى ماكنتش دريان بروحى ! إنما يعنى ما حصلش حاجة ؟!

سارة : هو فيه أكثر من اللى حصل .. يا عسل!

ـ ربيع : يانهار أسود !

ـ سارة : نهار أسود ؟! نهار أسود على (دماغك) كده تعمل فى كده ؟

ـ ربيع: لأ يا شيخه .. إن شاء الله نهار أبيض ..

ـ سارة: حنتقابل إمتى ؟!

ـ ربيع : لما أعرف ظروف عملى من الجدول بتاع مصر للطيران .

ـ سارة : المهم ما تكونش نسيت اللى قلته ؟!

ـ ربيع : قلت إيه ؟ أنا قلت حاجة كمان ؟!

ـ ساره : ليه ؟ نسيت قوام ؟ الزواج!

ـ ربيع : آه ما هو لازم بقى !

ـ سارة: لازم بقى ؟! علشان غلطت ؟!

ـ ربيع : لأ .. لازم نتجوز مادام بنحب بعض !

ـ سارة : أنت بتتكلم جد يا ربيع !

ـ ربيع : ما هو ما فيش حل غير كده !

الحب الحقيقى نهايته الجواز والأولاد.

ـ سارة فى منتهى الفرح: أنت أحسن كابتن فى الدنيا!
ـ ربيع : إذا أنا مارحتش الشغل النهارده.. أنا حأستناك ترجعى على هنا ..
ـ سارة : لأ يا حبيبى.. أنا اللى حأستناك فى بيتى ! باى باى بقى أحسن حأتأخر على الشغل !

وضعت سارة السماعة.. وتوجهت إلى عملها بشركة مصر للطيران.. بينما أخذ ربيع يفيق على ما سمعه من سارة.. وأصبح فى يقظة تامة على الرغم من إحساسه بالتعب والحاجة إلى مواصلة النوم.. وقد عقدت الحيرة لسان تفكيره.. ماذا حدث بالأمس ؟ هل ما قالته سارة حقيقى ؟ أم أنها تداعبه ؟ وهل فى هذا الأمر مداعبة؟

إنها صادقة فيما قالته بلا شك ؟ لقد وقع ما أخبرتنى به بالفعل ما دامت هى القائلة بذلك ؟

يا للمصيبة.. لكن مصيبة ليه ؟ يمكن القدر هو اللى دبر لى هذا حتى أتزوج فعلا ! والحمد لله أنى سأتزوج بفتاة أحبها من كل قلبى حقيقة !

ولست أدرى لماذا كنت أراوغها من قبل ؟ ! وهى أيضا يا ما حاولت تعبر عن حبها لى وعن رغبتها فى الزواج منى بالذات ! يا ترى إيه شعورها دلوقت ؟! وماذا سأفعل الآن ؟ يا للحيرة !

وهكذا أخذ التفكير ربيعا من كل جانب ..

ولشدة حيرته وقلقه من الموقف.. ولشدة خوفه على سارة .. حتى تعب من التفكير .. فشعر بالإرهاق يسيطر عليه .. وإذا بالنعاس يغلب عليه مرة أخرى.. ويأخذه فى حلم جميل هادئ.

ذهبت سارة إلى عملها وعقلها مشغول مشحون بالأفكار .. وقد أخذت الأفكار تعلو بها وتهبط.. وتأخذها يمينا ويسارا.. فتشعر مرة بالأمان والسرور.. وتحس مرة ثانية بالمرارة والألم .. ومرة ثالثة بالخوف والرعب.. ومرة رابعة بالطمأنينة والثقة .. ، هكذا .. إلى أن وصلت إلى مقر عملها وهى فى حالة شرود تام .. ولكنها أحست أنها لن تستطيع أن تقوم بعملها على خير وجه.. وكيف ستعمل فى اليوم الذى ستتزوج فيه.. لقد أصبحت فى حالة عدم اتزان .. فطلبت أن تعفى من عملها اليوم.. وقدمت إذنا بالانصراف.. وعادت إلى بيتها أو إلى مأمنها والدموع تنهمر من عينيها.. ولا تدرى أهى دموع الفرح أم دموع الحزن !

ولكن بمجرد أن دخلت مسكنها شعرت بالسكينة والهدوء .. وفى لهفة أدارت قرص التليفون وطلبت ربيعا فى بيته.. أخذ جرس التليفون يرن فى منزل ربيع مدة .. فشعرت بالقلق .. ووضعت السماعة .. ولكن لهفتها جعلتها تحاول مرة أخرى .. فإذا ربيع فى الجانب الآخر يرد عليها فى تثاؤب : آلو !

ـ سارة : اصح يا نايم !

ـ ربيع : مين سارة !

ـ سارة : أيوه أنا سارة ياسى ربيع اللى نايم على روحك خالص !

ـ ربيع : بتتكلمى من المطار؟

ـ سارة: لأ من البيت.

ـ ربيع : ياه ! مارحتيش الشغل ولا إيه؟

ـ سارة: رحت وجيت على طول !

ـ ربيع : ليه الساعة كام دلوقت ؟!

ـ سارة : الساعة العاشرة صباحاً..

استأذنت .. وجيت لك يا حبيبى !

ـ ربيع : ياه ! دا أنت صحتينى من أحلى حلم كنت بأحلم به!

ـ سارة : يا سلام ! سيادتك نايم بتحلم وهايص وغيرك قلقان ولايص ..

يقى أنا صحيتك من أحلى حلم ؟! وصحيت على إيه بقى ؟!

ـ ربيع : صحيت على أحلى حقيقة فى حياتى !

ـ سارة : يا سلام ! وكنت بتحلم بإيه بقى ياسى ربيع ؟!

ـ ربيع : كنت بأحلم بالحقيقة اللى سمعها بودانى .. وشايفها بقلبى دلوقت ..

ـ سارة : كده .. كده ؟ طيب قوم بقى وبطل أحلام .. أحسن ورانا كتير .

ـ ربيع: سأحضر إليك فورا يا روح قلبى .

استيقظ ربيع على عجل وأخذ حماما.. ولبس ملابسه الأنيقة جدا.. وذهب إلى سارة ليجدها أيضا فى أبهى ثيابها وفى أنضر جمال.. فاصطحبها إلى فندق شبرد على النيل.. وتناولا غذاءهما هناك .. ثم عادا إلى منزل سارة.. وأجريا اتصالات هاتفية يدعوان أصدقاءهما

وصديقاتهما والزملاء والزميلات والأهل والأقارب على حفل زفافهما في نفس اليوم.. وفعلا تم عقد القران فى نفس اليوم.. وتم الزواج وأقيمت حفلة زفاف لهما فى مسكن ربيع بالجيزة .. وكانت حفلة جميلة على الرغم من أنها كانت على الضيق.. وانصرف الضيوف .. سارة مستلقية على أريكة بملابس الزفاف .. وربيع يناديها : سارة ! سارة حبيبتى !

ـ ربيع : ما تيجى هنا .

ـ سارة : تعال أنت !

يقبل ربيع من حجرة النوم وقد ارتدى بيجامة وردية عليها روب دى شامبر جميل ..

ـ ساره : إيه ده ! أنت أجمل عريس فى الدنيا!

ـ ربيع : وأنت أحلى حورية من الجنة !

ـ سارة: الفرح انفض والمعازيم روحوا خلاص؟!

ـ ربيع : وأصبحت زوجتى الحبيبة على سنة الله ورسوله!

ـ سارة : تعال أعزمك على وجبة خفيفة.

ـ ربيع : حاضر يا أفندم .

ثم يتجه ربيع إلى البيك آب ويدير أسطوانة أم كلثوم فى أغنية «أنت الحب» ويعود ليجلس بجوار عروسه الجميلة وهى مازالت بملابس الزفاف.. ثم يتنبه إلى ذلك.. فيخلع عنها طرحة الزفاف.. يطلب منها أن تغير ملابسها.. ولكنها تقول له: لو غيرت ملابسى دلوقت .. ولبست لك قميص النوم بتاع العرايس مش هتأكل بقى !

لم تنم سارة ليلتها إلا بعد أن صارحت ربيع فى لحظة من لحظات السمر بينهما .. بقصة المخابرات الإسرائيلية والمخابرات المصرية.. وحكت له عن جابر أخيها ورسالته الأخيرة.. وقصت عليه حكاية البلكونة عندما منعته من دخولها وهى بفستانها الأحمر.. وأخبرته بما جرى بينها وبين العميد محمد حافظ.. صارحته بكل شىء .. ورجته أن يقف معها حتى نهاية الطريق.. فاقتنع بما قالته .. ووعدها.. وقالت له: إننا سنقضى شهر العسل فى بلد عربى حسب تعليمات العميد محمد حافظ .

وفى اليوم التالى للزواج ذهبت سارة إلى العميد محمد حافظ فى منزل خالته بعد أن استأذنت من ربيع الذى سمح لها..

سارة تجلس على أحد المقاعد فى صالون مسكن خالة العميد.. وهو يقف أمامها بجوار المدفأة..

ـ العميد : ما تبوظيش كل اللى عملناه .. ربيع لازم يسافر معك!

ـ سارة : إزاى أعيش مع واحد مش عايزنى ؟!

ـ العميد : اللى أعرفه أنه بيعزك وبيحبك جدا ...

ـ سارة وهى تفرك يديها فى عصبية وتخفض رأسها حياء : واللى حصل ؟

ـ العميد متقدما من سارة : دليل ذلك أنه بيخاف عليك وبيحترمك.. وإلا ما كانش اتجوزك بالسرعة دى!

تفكر سارة ثم تنهض وتهز رأسها نفيا وهى تقرر:

لأ .. دى مسألة كرامة !

ـ العميد : يعنى تتخلى عن أخيك وبلدك ؟!

ـ سارة : سأسافر لوحدى!

ـ العميد : نسيتى أنك رايحه لموريس اللى كان بيحبك وعايز يتجوزك ؟!

ـ سارة : مش كنت حسافر لوحدى لو أن ربيع متجوزنيش ؟!

ـ العميد : كان لازم يتجوزك !

ـ سارة: بالعافية يا أفندم كده ؟!

ـ العميد : كنا حنفهمه الحقيقة كلها ساعتها ..

ـ سارة : وكان اتجوزنى من باب الوطنية والشهامة !

ـ العميد : يا سارة .. انسى كل حاجة دلوقت وافتكرى بلدك.. وطنك مصر قبل كل شىء.

سارة تستغرق فى التفكير ثم تتمتم مستلسمة لمنطق التضحية بكل شىء فى سبيل بلدها وتقول : حاضر يا أفندم تحت أمر مصر !

* * *

موعد على كورنيش النيل

في منطقة منعزلة على كورنيش النيل بناحية روض الفرج.. يقف في النيل مركب صغير بمجاديف تحت ضوء القمر.. وبالمركب داود وجورج ومعهما جهاز لاسلكى حديث صغير فى اليد .

يتطلع داود إلى الشاطئ ثم إلى ساعة يده .. ويلتفت نحو جورج : أنت متأكد أن الجواب وصل لها هو وجهاز الميكروفون ؟

ـ جورج : لقد أوصلتهما لها بيدى !

ـ داود: لكن اتأخرت !

ـ جورج : دى سارة دقيقة جدا فى مواعيدها.

ـ دواد : فى الحقيقة أنا مازلت لم أطمئن لها.. الزواج اللى على غفلة ده مش داخل دماغي.. مخليني في قلق !

ـ جورج : بالعكس.. الزواج ده خدمنا.

ـ دواد : إزاى ؟

ـ جورج: فيزة الخروج اللى دخت عليها طلعت هوا بواسطة ربيع.. والشركة أعطتها هي وزوجها شهر عسل وتذاكر سفر مفتوحة لأى بلد فى الدنيا.. سويسرا.. أمريكا.. اليونان.. قبرص .. فرنسا.. أى بلد.

ـ داود: بقى ربيع ده مهم كده؟!

ـ جورج : له أقارب كبار فى الحكومة.

يتطلع داود ناحية الشاطئ ثم يهمهم مع تفكير مبهم.

ـ جورج : البنت مستعدة تعمل أى حاجة عشان أخوها.

ـ دواد : آهى جت ! حضر الجهاز يا جورج.
يميل جورج على حقيبة بها جهاز اللاسلكى..
كان المركب الذى يقف فيه داود وجورج يقف خلف مراكب أخرى على النيل مليئة بالحجارة والطوب الأحمر المعد للبناء.. وفى ساتر من الشجر الكثيف.. تقبل سارة على الكورنيش متطلعة إلى النيل.. ثم تقف وتتلفت حولها للاطمئنان إلى أن أحداً لا يراها.. ثم تفتح حقيبتها وتخرج منها ميكروفونا صغيرا لاسلكيا فى حجم إصبعى اليد المنفرجتين .. ثم تقرب الميكروفون من فمها وهى تنحنى على كورنيش النيل.. فى صوت خافت :
حسافر بكره مع ربيع فى رحلة شهر العسل.. حنروح بلد عربى حسب تعليماتكم.
جورج وداود حول جهاز الاستقبال ينصتان فى اهتمام إلى صوت سارة مع تهلل وجه داود وابتسامة جورج :
ـ صوت سارة : عميلكم اللى حيتصل بى هناك.. بيدخن سيجار . وشايل وردة حمراء فى يده اليسرى.. وبيعرج شويه برجله اليمنى . ـ سارة : شكرا أى أوامر !
وتضع سارة الميكروفون فى حقيبتها ثم تتلفت حولها وتنصرف .. وتمضى مسرعة مبتعدة على الكورنيش الممتد .

* * *

فندق الشيراتون ببيروت

جانب من الطريق يمتد بامتداد البحر المنبسط الهادئ..

وعلى الشاطئ عدد من الكازينوهات المنتشرة.. وحركة المرور منتظمة بالطريق.. وتبدو سيارة مميزة بالورود التى تزينها.. مقبلة على فندق كبير بمدينة بيروت ..

يظهر فندق شيراتون واضحا والسيارة متقدمة نحوه ثم تقف عند بابه.. وعامل الاستقبال فى الفندق يفتح باب السيارة.. وهو من عمال الفندق .. فتهبط سارة وربيع .

ـ عامل الفندق : الحمد لله على السلامة !

ـ ربيع : الله يسلمك !

ويهبط سائق السيارة واسمه عيد .. ثم يتحول إلى صندوق السيارة الخلفى.. ويهم بفتحه لإخراج الحقائب .. وهو رجل مفتول الذراعين قوى البنية.. وبينما يصعد ربيع وسارة درجات السلم إلى مدخل الفندق .. كان صبى صغير بملابس البويز يقف متهلل الوجه.. يبدو سعيدا بمقدم العروسين .. ويندفع الصبى داخل الفندق فى سرعة.. وما أن يدخل ربيع وسارة داخل الفندق حتى تدار أسطوانة أم كلثوم «الليلة عيد» .

وفى الفندق يظهر لأول مرة محمد عبد العظيم المدير التجارى لمؤسسة التجارة الخارجية .. وهو شديد الشبه بالعميد محمد حافظ..

لا يفترق عنه فى شىء إلا بحواجبه الكثيفة.. وشاربه المفتول.. وشعر رأسه .. مع امتداد بسيط فى بطنه .. وميل للدعابة.. وإفراط فى البساطة..

كما يظهر فى الفندق أيضا رعد اللبنانى وهو فى نحو الثلاثين من عمره.. يرتدى الملابس الإفرنجية.. ووجه يوحى بحقد يعتمل فى نفسه.. كما يبدو قوى البنية.. هذا فضلا عن موظفى الاستقبال .. وعمال الفندق.

يقف موظفو الاستقبال خلف كاونتر الاستقبال.. وأمام الكونتر يقف محمد عبد العظيم ضاحكا متناولا رسالة من الموظف الذى يشاركه الضحك.. ويقبل الصبى متهللا معلنا بأن العرسان المصاروة وصلوا.. فيلتفت محمد عبد العظيم ناحية المدخل..

سارة وربيع يجاوزان المدخل إلى الهول فى طريقهما إلى الاستقبال.. بينما يجلس شخص يطلع صحيفة عربية تخفى وجهه .. وينحى هذا الشخص الصحيفة متطلعا فى اهتمام شديد إلى سارة وربيع .. فيظهر أنه رعد.. وينهض مع ابتعاد سارة وربيع .

تبدو سارة وقد فوجئت بوجود عبد العظيم .. متصورة أنه العميد محمد حافظ.. وقد تخفى بتكثيف حواجبه... وتغيير طريقة ترتيب شعره .. وترى أنه أسلوب مكشوف للتخلص .. وعجبت لذلك.. وهى تتأمل عبد العظيم.. وعبد العظيم يتأمل العروسين فى إعجاب .. وموظف الاستقبال يرحب بهما .. وهو يتحول إلى لوحة المفاتيح

ليسحب منها مفتاحا وهو يقول : آهلين ! .. ويقول عبد العظيم فى همس :

يا سلام ! انسجام إيه ده ؟ شيء يفرح!

فيسمعه ربيع فيحييه قائلا : الله يحفظك ! باين أنتَ من مصر؟!

ـ عبد العظيم مقدما نفسه : محمد عبد العظيم المدير التجارى لمؤسسة التجارة الخارجية.

ـ ربيع مقدما نفسه وسارة : كابتن ربيع البنا.. بشركة مصر للطيران.. مدام سارة زوجتى .

تشير سارة إلى عبد العظيم بالاقتراب منها.. فيميل ناحيتها وهى تميل على أذنه هامسة جادة : أنت مكشوف قوى !

تبدو على عبد العظيم الدهشة.. ثم يتسم إعجابا بنفسه ويبدو أنه تصور أنها تقصد بعبارتها أنه مكشوف فى مغازلتها.

يسلم موظف الاستقبال مفتاح الغرفة للصبى الذى يدعو ربيعا وسارة ليتبعاه .

وحين يهم ربيع وسارة بالانصراف ليتبعا الصبي إلى حجرتها يسرع عبد العظيم بقوله : نتقابل الساعة العاشرة فى الهول ؟!

ربيع يرد عليه وهو منصرف : إن شاء الله.

وينصرف ربيع وسارة.. وعبد العظيم يتأمل سارة فى إعجاب وهو يصلح رباط عنقه.. وقد بدا عليه الإعجاب بنفسه.. يصل العروسان إلى غرفتهما.. ويدخلانها والفرحة على و جهيهما.. والغرفة ذات سريرين.. وقد أعدت إعداداً فاخراً .. وبها شرفة تطل على البحر..

تبدأ سارة فى تغيير ملابسها .. وترتدى روبا جميلا راقيا .. بينما ربيع يدخل إلى الحمام ليتناول حماما وتجلس سارة على أحد المقاعد.. وتبدو حائرة فى أمر محمد عبد العظيم.. فهل يكون هو العميد محمد حافظ فعلا..

وإذا كان كذلك .. فهل يظن أنه يخدع الناس عن شخصه بهذا التغيير الطفيف فى شكله ومظهره وتصرفاته ؟

يظهر ربيع مطلا برأسه من باب الحمام وهو بالبرنس وصابون الحلاقة فى ذقنه .. فيرى سارة وهى بالروب الأنيق.. فيظهر عليه الإعجاب الشديد بزوجته سارة..

فيصيح : يا حياتى ! إيه الجمال ده!

تلتفت سارة إلى ربيع مبتسمة وتقول : يعنى عجباك ؟!

فيقول لها : قوى قوى ! حالا بأنتهى من الحمام.

وبعد لحظات يخرج ربيع من الحمام وهو بالبرنس ..

ويقول لسارة : شيك زى إليزابيث تايلور.. قطة هوليوود.. ووقورة زى صوفياللورين أهو كده الجواز والا بلاش !

ويندفع ربيع نحو سارة.. فتلتفت إليه فى استحياء .. منحية على الفراش وهى تخلع الروب قائلة: ربيع.. خليك عندك.. ولا حركة .. اثبت محلك !

ولكن ربيعا يتقدم نحوها بلهفة محيطا بها بذراعيه محاولا تقبيلها فى حركة سريعة قائلا لها : كده !

وتحاول سارة التخلص منه قائلة : مش كده !

ـ ربيع : أنا كل يوم بيمر بشوفك أجمل من اللى قبله!

الظاهر إن أيامنا حتبقى حب فى حب !

تتخلص منه سارة نحو الفراش .. فيندفع وراءها ربيع .. فتقول له مع نظرة تأمل فى المجهول : يا ريت يا ربيع نبقى حب فى حب على طول .

يسقط ربيع بصدره على الفراش .. بينما سارة تجلس القرفصاء تحاول الابتعاد عنه.. فيمد ربيع يده ممسكا بيدها..

ـ ربيع : يا حلو يا قمر مالك بتفكر فى إيه ؟!

ـ سارة : خليك عاقل يا ربيع!

ـ ربيع مقتربا منها فوق الفراش: ما بقاش فيه عقل ..

ولكن فيه قلب بيحب!

ثم يستطرد وقد أمسك بذراعها: فيه زوج بيفكر فى المستقبل .

ـ سارة : الجواز مش نزوة!

ـ ربيع : الجواز رسالة حتى الموت! وكفاح .. وأولاد.. بنسلم لبعضنا الرسالة.. رساله العبادة والعمل والصبر والكفاح حتى الموت .

ـ سارة : لازم أتأكد أنك زوج مخلص وكريم.

ـ ربيع مندفعا لتقبيلها.. ادينى فرصة .. مع الأيام حأثبت لك إن شاء الله.. كله حب وإخلاص .

ويحاول ربيع أن يقبل سارة فتسرع بوضع يدها على شفتيها لتمنعه من تقبيلها .. فيقول لها : وبعدين بقى ؟!

ـ سارة : قل لى أولا .

ـ ربيع : إيه تانى ؟!

ـ سارة : بتحبنى ؟!

ـ ربيع فى مبالغة مستسلما لسيطرة رغبته عليه : حب كبير! قلت لك الزمن هو اللى حيحكم على الحب ده ..

ـ سارة : واللى يحب واحدة .. مش يسمع كلامها ؟

فيتنهد ربيع فى ضيق ويقول : ما تصدقى بقى .. بعد كل ده لسه خايفة .. سلمتك روحى وعمرى .. ولسه خايفة ؟!

ـ سارة : ادينى فرصة يا ربيع .

ـ ربيع : حاضر يا سارة هانم ..

يتمدد ربيع على السرير.. بينما تنهض سارة لترتدى الروب وهى سعيدة .. وتنتبه إلى صوت سعال لامرأة عجوز يصل من خارج الشرفة.. فتلتفت سارة ناحية الشرفة.. وترهف السمع.. فتسمع فى رعب نفس صوت السعال يتردد .. فتمضى ناحية الشرفة .. وتفتح بابها .. وتطل ناحية مصدر الصوت.

كان بجوار شرفة غرفة ربيع.. شرفة لغرفة مجاورة.. والشرفتان متعانقتان وتطلان على البحر.. وكانت فى الشرفة المجاورة تقف أوديت العميلة الإسرائيلية.. وهى امرأة عجوز قبيحة ذات قسمات يهودية

واضحة .. فهى مدببة الأنف .. ضيقة العينين .. تشبه جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة .. وتضع على عينيها نظارة هابطة إلى طرف أنفها ..

وتدخن السيجار..

أوديت تنهى السعال المصطنع وهى تطل من الشرفة.. وتحمل وردة حمراء فى يسارها .. والسيجار فى يمينها..

مبتسمة وهى تتطلع إلى الشرفة المجاورة.

وسارة تقبل على حاجز شرفتها .. وتصبح فى مواجهة أوديت ..

ـ أوديت موجهة كلامها لسارة : تروحى الليلة كازينو؟!

تهز سارة رأسها إيجابا .. بينما تتمتم لها أوديت وهى منسحبة : حتعرفى هناك ميعاد سفرك.

تدخل أوديت الغرفة مبتسمة وفى يدها السيجار وفى الأخرى الوردة الحمراء.. بينما لورنس يضع قدمه على أحد المقاعد مدخنا الغليون.. مرتديا قميصا وبنطلونا.. وهو من رجال الموساد الإسرائيلى.. نحيف.. متوسط الطول.. دقيق الملامح.. ذو شعر رمادى لاختلاط الشعيرات البيضاء بالسوداء .. يبدو فى الخامسة والأربعين .. يكاد الدم يتفصد من وجهه.. شديد الدهاء .. شديد الاعتداد بنفسه..

وكان رعد جالسا على أحد المقاعد إلى يسار لورنس.. وكلاهما يتطلع إلى أوديت وهى تقبل عليهما.

ـ أوديت : مساء الخير لورانس ! (وتسحب نفسا من سيجارها) .. سارة وزوجها حيكونوا الليلة تحت أمرنا فى الكازينو.

ـ لورنس ضاحكا فى سخرية وحقد: الرجل فاهم أ نه لما يركب باروكة حواجب يبقى عبد العظيم.. مش العميد محمد حافظ!

ويتابع الضحك ثم يتحول إلى رعد آمراً : جمعت رجالتك يا رعد ؟

ـ رعد : جاهزين .

ـ لورنس: حنكون بالجبل.. تجيبوا لى سارة ومحمد .

ـ أوديت فى تقرير حازم: وتقتلوا ربيع باشا وبسرعة .

ـ لورنس فى استنكار وانفعال : أوديت!

ـ أوديت فى برود : دى التعليمات اللى عندى.

ـ لورانس متطلعا إلى أوديت فى انفعال : حاضر يا أفندم!

* * *

مكتب المخابرات في بيروت

ڤيلا صغيرة تقع على ربوة عالية فى مكان منعزل بالجبل.. وتشرف على واد سحيق .. ومفروشاتها من أرائك ومقاعد ومناضد و فوانيس.. على الطريقة العربية أرابيسك.

يستغرق العميد محمد حافظ فى الضحك وهو جالس على مكتبه.. بينما النقيب عادل يقف عند الشرفة متأملا العميد فى دهشة بالغة.. والرائد مصطفى يجلس أمام العميد متطلعا للنقيب عادل فى دهشة أيضا .

ـ عادل : أنت متأكد يا أفندم أنك ما خرجتش من هنا ؟

ـ العميد : أبداً .. هو معقول أكشف نفسى هنا !

ـ عادل متقدما فى حيرة ! ياأفندم أنا لسه شايفك خارج من الشيراتون !

ـ العميد محمد يضحك ويقول : ده لازم عبد العظيم !

ـ عادل : يشبه سيادتك للدرجة دى ؟!

مش ممكن.. ده طبق الأصل !

ـ مصطفى : ده يبقى وقع لنا من السما !

ـ العميد : هو احنا حنعتمد على الصدفة يا مصطفى؟

ـ مصطفى : ما هو يا أفندم ..

ـ العميد مقاطعا : أنا من يوم ما شفته فى مؤسسة التجارة الخارجية.. وأنا حاطط عينى عليه لوقت عوزة .

ـ عادل : ده يبقى حل خطير !

ـ العـمـيـد : أبداً .. ده راجل بسـيط .. وطيب جـداً .. ولو عـرف حاجة حيبوظ كل شغلنا .

ـ مصطفى : يعنى ما يعرفش حاجة أبداً ؟

ـ العميد : ومش لازم يعرف حاجة !

ـ عادل : بس ده معرض لخطر الموت !

ـ العميد : وإحنا فين يا عادل ؟!

* * *

الملهى الليلى

يجلس عبد العظيم وسارة وربيع حول مائدة فى الملهى وهم مشغولون برقصة تعرض على الحلبة .. ويثير سارة استغراق ربيع الشديد فى متابعة الرقصة.. وكانت الرقصة فى حلبة الرقص لراقصة فاتنة مع فرقة راقصات من الهنود لبسهن غير طبيعى .

وربيع يصفق للراقصة .. وتبدو سارة غاضبة لهذا التصرف .. ويلحظ ذلك عبد العظيم .. فإحدى عينيه على الراقصة .. والأخرى على سارة.. وهى تميل على ربيع هامسة فى استنكار :

إيه يا ربيع ؟ نحن هنا !

ـ ربيع : إيه يا سارة ؟! فن الرقص فن جميل !

يعنى بلاش أشاهد العرض !

ـ سارة : لا.. بلاش نشاهد !

ـ ربيع : إيه ؟ فيه إيه يا سارة ؟

ـ عبد العظيم فى صوت خفيض : اتقفشت!

ـ سارة : حاسب شويه على نفسك !

ـ ربيع مصطنعا ابتسامة لسارة : إعجاب الفن.. أنا معجب بالفن الشعبى جدا ..

ثم يتجه لعبد العظيم قائلا: مش كده ؟!

ـ عبد العظيم مستغرقا فى الضحك بصوت خفيض مكبوت : كده!

كده! يميل ربيع على عبد العظيم وهو يهم بمشاركته الضحك بصوت مرتفع.. فتنبهه سارة مستنكرة : ربيع!

يقطع ربيع ضحكته دفعة واحدة قائلا : آه .. صحيح !

ـ سارة : جرى لك إيه يا كابتن ؟!

ـ ربيع : لا مؤاخذة !

تلتفت سارة فجأة إلى مدخل الملهى .. فتفاجأ بأوديت تدخل .. مدخنة السيجار.. وتقف كمن تبحث عن مائدة .. تبحث عن سارة .. فتراها سارة وتنشغل بها .. بينما يلتفت ربيع مخفيا وجهه براحة يده متمتما : الوجه ده مش غريب على !

ويكتم عبد العظيم ضحكة تلفت نظر ربيع ..

فيسأله : يا ترى مين دى ؟!

ويلتفت ربيع إلى أوديت فإذا بها تبتسم له، فيتحول عنها مشيحا بيده .. فتراه سارة وتقول :

وبعدين يا ربيع ؟!

ـ ربيع : ما هو مش معقول كده أبداً !

ويلتفت ربيع إلى أوديت وهى تنصرف .. وسارة تتابعها بنظراتها فى اهتمام .. وعبد العظيم .. يضحك ..

أوديت تجلس إلى مائدة قريبة من مائدة سارة وهى تتمتم متطلعة إلى مائدة سارة.. لكن سارة تحول وجهها عن مائدة أوديت وتبدو قلقة .. لتجد عبد العظيم يتابع الرقص.. وكان ربيع يخرج سيجارة من علبة سجائرة .. ثم ينشغل بالرقص عن إشعالها ..

تحاول سارة أن تنبه عبد العظيم ليلتفت إليها .. فتنقر بأصابعها على المائدة بالقرب منه.. فلا يلتفت إليها .. ثم تتطلع إلى ربيع فتطمئن إلى أنه مشغول عنها.. وتلتفت إلى عبد العظيم وتمد ذراعها على المائدة لتهز ذراع عبد العظيم المستندة إلى المائدة..

وحين تقترب يدها من ذراع عبد العظيم .. تكون يد ربيع قد تحركت دون أن يلتفت .. بحثا عن الولاعة أمام عبد العظيم .. فتصطدم بيد سارة..

سارة تلتفت مضطربة كمن ضبطت متلبسة بجريمة .. وربيع يلتفت إليها مبتسما.. فتصطنع هى الأخرى ابتسامة وتمسك بالولاعة.. وتشعل لربيع سيجارته.. فيتناول يدها ويقبلها .. قائلا لها فى همس: شكراً يا حياتى ! ثم تكرر التفاتتها إلى عبدالعظيم لتنبهه إلى أنها تريد محادثته فيبتسم لها متحولا عن الرقص.. قائلا لها ولربيع: خدوا راحتكم!

ويعود عبد العظيم لمتابعة الرقص القومى للفرقة الراقصة .. ويشاركه ربيع فى المشاهدة.. بينما تبدو سارة فى شدة القلق.. فتتطلع ناحية أوديت.. ولكنها تجد أوديت مشغولة بالإنصات لأحد أعوان رعد الذى يميل على أذنها هامسا.. فتتحول سارة عن أوديت إلى عبد العظيم مرة أخرى.. وتحاول مع هبوطها النسبى فى المقعد أن تمد قدمها تحت المائدة بحثا عن قدم عبد العظيم لتنبهه .. فتلتقى قدمها بقدمه أخيرا.. فتهوى بقدمها على قدم عبد العظيم ضاغطة عليها بعنف.. فيهتز

عبد العظيم فى مقعده متأوها.. فيلتفت ربيع نحوه قائلا : مالك ؟ فيه إيه ؟ فيتدارك عبد العظيم الموقف ويلفت نظر ربيع إلى الرقص قائلا له: آه ! الفن يا أخى ربيع .. الفن شيء يجنن ..آه ! يتحول ربيع إلى حلبة الرقص ضاحكا .. ويتطلع عبد العظيم لكى يلوم سارة التى تميل على المائدة مشيرة له بالميل لتتحدث إليه فيميل نحوها .. تحاول سارة أن تنبهه إلى وجود مخابرات إسرائيل ليتصرف .. فهى تظن أن عبد العظيم ما هو إلا محمد حافظ العميد.. ويخيل إلى عبد العظيم أن سارة تغازله .. فيبدو أول الأمر سعيدا .. ثم يأخذه إحساس ببشاعة الخيانة .. خيانة زوج يسهر معه على مائدة واحدة .

ـ سارة هامسة فى أذن عبد العظيم : أنت مكشوف خالص يا محمد بيه !

ـ عبد العظيم : قصدك عبد العظيم.

ـ سارة : أيوه .. بس حكاية الحواجب دى باينة خالص .

ـ عبد العظيم ململما حواجبه في ابتسامة: كده ؟!

ـ سارة فى دهشة من تصرفه: الجماعة واخدين بالهم منك ! كاشفينك خالص !

ـ عبد العظيم : ما هو أنت كسرت رجلى ..

ـ ساره : عشان تاخذ بالك ..

ـ عبد العظيم مندهشا: هو أنا مهم للدرجة دى ؟!
ـ عبد العظيم يتنهد كالمحب الولهان : أيوه.. بس ..
ـ سارة : بس إيه ؟ السيدة إياها جاهزة ..
(مشيرة بهز رأسها ناحية أوديت).. قاعدة هناك آهى !
فيلتفت عبد العظيم ناحية أوديت .. التى لا تزال تتحدث همسا إلى أحد أعوان رعد.. والرقصة مستمرة للفرقة القومية..
ـ عبد العظيم : يعنى حنروح عندها ؟!
ـ سارة : اللى تشوفه !
يبدو عبد العظيم مضطربا.. وقد تصور أن سارة تعرض عليه نفسها.. ولكنها تستحثه قائلة: إلحق اتصرف !
فيلتفت عبد العظيم إلى ربيع ثم إلى سارة قائلا : وجوزك ؟
ـ سارة : مش أنت اللى جايبه ؟!
ـ عبد العظيم مأخوذاً : إيه ؟ دا كان قتلنا !
ـ سارة : ليه ؟
ـ عبد العظيم: اتقى الله ! أنا مش فاهم حاجة خالص ! ده أنت لسه فى شهر العسل يا أفندم !
يظهر تعبير الدهشة على سارة.. ويلتفت ربيع فى الوقت الذى يتابع فيه عبد العظيم كلامه : أنا مش فاهم أنت عاوزة إيه ؟!
ـ ربيع : بتتكلم عن إيه ؟
ـ عبد العظيم مستدركا : ع الفن .. ع الرقص .. ع الاستعراضات القومية ..

ـ ربيع ضاحكا : ما كان عاجبك من شوية ؟!
ـ عبد العظيم : قم بنا يا أستاذ ربيع !
تلتفت سارة ناحية أوديت التى وقفت مشيرة إلى سارة بهزة رأسها .. حتى تتبعها . ثم تمضى أوديت ناحية التواليت.. فتنهض سارة مستأذنة: استنونى شوية.. دقيقة واحدة !
ـ ربيع : على فين؟
ـ سارة : أغسل إيدى..
ـ ربيع : آجى معك..
ـ سارة: لا .. خليك أنت !
وتمضى سارة فى اتجاه التواليت.. بينما أوديت تدخل باب التواليت.. وربيع يشيع سارة بنظرة فاحصة.. ثم يعود لمتابعة مشهد الرقصة .
وفى جانب من التواليت وقفت أوديت تغسل يديها على حوض غسيل.. وتظهر سارة فى مرآة الحوض أمام أوديت..
ـ أوديت هامسة: كفاية سهر كده! السفر بكره الساعة السادسة صباحا لأثينا .. حتلاقى تذاكر الطيارة فى حجرتك بالأوتيل.. مع السلامة ! تعود سارة إلى ربيع وعبد العظيم.. ويخرجون من الملهى.. ويصعد ربيع السيارة التى يقودها عيد السائق .. وتقبع سارة فى المقعد الخلفى بين ربيع وعبد العظيم .. وتنطلق بهم السيارة مبتعدة..

* * *

صراع فى الجبل

طريق عام فى أحد جبال لبنان .. تبدو حركة المرور فيه نادرة.. ويتفرع منه طريق ضيق فرعى تنعدم فيه الحركة.. ويبدو موحشا.. أحد جوانبه صخرية مع نتوءات ومنحنيات.. والجانب الآخر مهوى واد سحيق .. وفى جزء من نفس هذا الطريق الفرعى منحدر رهيب.. وهناك طريق ثالث يؤدى إلى دار لورنس فى الجبل.

تقف سيارة على جانب الطريق.. ليس بها إلا شخص قائدها.. ملتفتا خلفه إلى الطريق.. مستطلعا.. وهو فى مقعد القيادة.. وكان هذا الشخص هو رعد رجل الموساد الإسرائيلى.

وحينما يرى سيارة ربيع مقبلة .. يدير رعد موتور سيارته.. وتندفع سيارة ربيع بجوار سيارة رعد.. فينطلق رعد بسيارته خلف سيارة ربيع.. وهنا تظهر سيارة ثالثة يركبها اثنان من المخابرات المصرية.. تحاول اللحاق بالسيارتين..

تحاول سيارة رعد أن تسبق سيارة ربيع.. فى حين كان تونى وهو أحد أعوان رعد مختبئا فى الطريق الفرعى عند نقطة التقائه بالطريق العام .. وقد أطل تونى برأسه لمراقبة السيارتين.. ومع اقترابهما يختفى رأس تونى..

سيارة ربيع مقبلة بسرعة.. وسيارة رعد تميل نحو مقدمة سيارة ربيع لتضطرها إلى الانحراف يمينا .. ويشتد الضغط على إجبار سيارة ربيع

للانحراف يمينا.. فيضطر عيد وهو سائق سيارة ربيع إلى أن ينحرف إلى الطريق الفرعى تجنبا للصدام.. ويلوى عيد عجلة القيادة فى حركة خاطفة منحرفا لليمين.. ويظهر جانب من سيارة رعد عند الانحراف.. فى حين يخفى عبد العظيم وسارة أعينهما خوفا.. ويبدو ربيع مأخوذاً.

تندفع سيارة ربيع داخل الطريق الفرعى .. بينما سيارة رعد تسد مدخل الطريق.. ثم تعود للخلف لتعتدل.. ثم تدخل الطريق الفرعى منطلقة.. ويظهر رعد جليا وهو يقود السيارة.

ـ عيد ساخطا يصيح: هايدا رعد.. ناوى على الغدر !

ـ عبد العظيم : رعد!

ـ عيد : إيه ما بتعرف عصابة كبيرة هنا فى البلد.. ها دول مطلوب القبض عليهم.. عملاء إسرائيل ! الإسرائيليون يدفعون ملايين الدولارات علشان ينسفوا ويقتلوا ويخربوا بيوتنا ويشردوا أولادنا..

ـ عبد العظيم مضطربا: الله.. الله.. الله!

ـ ربيع : إحنا جايين نتفسح مش نحارب !

ـ سارة : ضريبة ولازم ندفعها.

ـ عيد وهو يلوى عجلة القيادة داخل منحنى جديد: الله يقصف عمر هون.. ويريحنا من شرهون.

ـ سارة فى فزع صارخة : بص قدامك يا عيد وسوق بسرعة! يضطر عيد أن يوقف سيارته مع فرملة عنيفة .. بعد أن كادت سيارته تصطدم بسيارة أخرى تسد الطريق.. وفى انطلاقة سريعة يبرز تونى أحد عملاء رعد.. من خلف مقدم السيارة التى تسد الطريق.. شاهرا مسدسه..

ويحاول عيد أن يخرج مسدسه فى حذر... ويصيح تونى من خلف مقدمة سيارته: سلموا أنفسكم وإلا تموتون ! فيطلب عيد من ربيع وسارة وعبد العظيم أن ينزلوا خلف السيارة.. فى حين يطلق تونى النار للتحذير .

يهبط ربيع وسارة وعبد العظيم من جانب السيارة المحاذى لصخر الجبل.. وينظرون المعركة من خلف السيارة .. بينما يتبادل تونى وعيد إطلاق النار.. وإذا بسيارة مقبلة عليهم.. هى سيارة رعد التى وقفت خلف سيارتهم تماما.

يهمس ربيع لعيد الذى يهبط من السيارة حاملا مسدسه .. مختفيا وراء مقدمها: خليك شاغلهم يا عيد!

ثم يمضى ربيع على ركبتيه فتستوقفه سارة هامسة له وهى مشغولة عليه: ربيع!

فيلتفت ربيع إلى سارة واضعا إصبعه على فمه مشيرا عليها بالسكوت.. ثم يمضى فى محاذاة السيارة على ركبتيه.. إلى أن يصل لمقدم سيارة رعد عند الباب الأمامى.. فى حين أن رعد قد خرج من سيارته .. وأغلق بابها بعنف .. وقد أخرج مسدسه وهو يقف بجوار باب القيادة الأمامى متطلعا إلى الأمام.. مع صوت تبادل طلقات النار بين تونى وعيد..

تظهر فجأة رأس ربيع فى شباك باب القيادة الأمامى.. ثم يمد يديه من خلف الباب ويقبض على عنق رعد وهو يسحبه إليه فى عنف .. ويهم رعد باستخدام مسدسه.. فيقبض ربيع بيده على معصمه..

وبالأخرى على عنقه الذى يحشر فى طرف الباب.. ويسقط المسدس من يد رعد.. ويحاول رعد بيده أن يحرك أكرة الباب الأمامى.. بينما ربيع يقبض بيديه على عنق رعد..

وفجأة تصرخ سارة صرخة فزع تدوى فى المكان.. فقد رأت ليقى على الأرض خلف سيارة ربيع.. وفوقها أسد وهو أحد أعوان رعد.. بينما يقفز هو ويعقوب وهما أيضا من أعوان رعد.. فوق عبد العظيم وعيد.. الذى يهم بإطلاق رصاصته التى تنطلق ولا تصيب أحداً وإذا بباب سيارة رعد الأمامى مفتوحا .. ويندلق منه ربيع مع تخلص رعد من قبضتى ربيع.. ويسقط ربيع على الأرض ويده فوق المسدس.. ولكن قدم رعد كانت أسرع .. فأخذ يهوى بها على يد ربيع .. ويلتفت ربيع إلى أعلى.. فيجد رعدا يتطلع فى حقد إليه .

ـ ربيع : أخيرا يا حيوان !

يسحب ربيع قدم رعد فى عنف فيترنح رعد ويسقط .. ويتمدد على الطريق منطرحا أرضا.. وربيع ينقض فوقه..

ويدور صراع بينهما.. يدوران فيه على الأرض حتى حافة هاوية الوادى.. وكلاهما يحاول أن يلقى بالآخر فى الوادى..

وتصرخ سارة من بعيد : ربيع ! ربيع ! ويدوى صراخها فى جنبات الجبل.. فيلتفت إليها ربيع.. مما هيأ فرصة لرعد بأن يلكم فيها ربيعا بعنف .. حتى يسقط ربيع فى الوادى.. وسارة مستمرة فى صراخها : ربيع!

ربيع !.. وصوتها يدوى فى الجبل .

ويستطيع أسد ويعقوب أن يقيدا كلا من عبد العظيم وسارة.. وأن يزجا بهما مقيدى اليدين من الخلف داخل سيارة العصابة التى كانت تسد الطريق.. وسارة تصرخ : ربيع ! ربيع !

ويقبل عيد محاولا تخليص سارة.. ويدخل فى معركة مع أسد بينما يعقوب يدفع سارة داخل السيارة..

ويظل ربيع ممسكا حافة الطريق بيديه وجسده معلق فى الفضاء، والوادى السحيق تحت قدميه .. بينما رعد يهوى بقدمه فوق يد ربيع ليسقطه فى الوادى.. وربيع يقاوم مقاومة عنيفة ..

فهو يقبل ويتحدث مع رعد بينما ربيع معلق بالحافة ..

ـ تونى : البضاعة جاهزة فى السيارة.. اترك لنا هذا الحيوان !

ـ رعد وهو ينصرف : لورانس ..

ومع انصراف رعد يجذب ربيع قدم تونى فيسقط على الطريق للخلف .. بينما فهد يضرب وجه ربيع بقدمه فى عنف .. فيندفع رأسه للخلف مع تعلقه بحافة الوادى..

وينهض تونى على ركبتيه..

فى هذه الأثناء تقبل السيارة الثالثة.. مع فرملة عنيفة ويلتفت تونى وفهد ناحية الصوت.. يهبط السيارة عادل ومصطفى يشهران مسدسيهما ويحتميان بالسيارة.. ويطلقان الرصاص لمجرد الإرهاب.. فيعدو تونى وفهد مبتعدين عن ربيع للاحتماء بعيدا عن مرمى الطلقات..

ـ ربيع : الله أكبر .. لا إله إلا الله ! الله أكبر !

ويصعد ربيع من المهوى إلى الطريق.. ويناديه عادل ليطمئن عليه.. ويلتفت ربيع إلى عادل ومصطفى .. ويلقى عادل بمسدس إلى ربيع الذى يتعجب من المفاجأة.. بينما مصطفى يتبادل النيران مع العصابة.. وعادل يصرخ فى ربيع : إلحق سارة يا ربيع !

ربيع يمضى بين الرصاص وهو يعدو ويصيح : سارة ! سارة! وهنا يسرع رعد بركوب سيارة العصابة ويدير الموتور..

وفى المقعد الخلفى سارة وعبد العظيم.. ويقبل ربيع مسرعا بينما يعقوب وأسد مازالا مشتبكين مع عيد فى معركة وربيع يشهر مسدسه.. فيتركان عيداً عندما يريان ربيعا مقبلا ويهمان بالوقوف فى وجهه.. بينما السيارة تهم بالتحرك.

يطلق ربيع النار لإرهابهما .. فيفسحان له الطريق .. وهو يعدو خلف السيارة المنطلقة ويتعلق بمؤخرتها.. فى حين أخذ أسد ويعقوب ينقضان مرة أخرى على عيد وتسرع السيارة التى يقودها رعد تحمل عبد العظيم وسارة فى المقعد الخلفى.. وربيع فوق سطحها .. بينما الوادى السحيق يمتد من تحتها ..

ربيع يطل برأسه من فوق سطح السيارة والمسدس فى يده .. ويراه رعد فى مرآة السيارة.. فتمد يد ربيع إليه بالمسدس مصوبا إياه إلى رأس رعد.. فيفزع رعد.. ويحاول التفكير فى مخرج من هذا المأزق .. ولكن ربيع يهدده: أى حركة حاخلص عليك ! أوقف السيارة ! بسرعة يا حيوان !

يوقف رعد السيارة، يخرج مسدسه بسرعة ويصوبه من باب السيارة مع قفزة من ربيع وصرخة من سارة : حاسب يا ربيع!

يطلق رعد الرصاص.. وربيع يهبط تحت مستوى باب السيارة الخلفى.. فيتجه رعد خلفه إلى سارة وربيع مصوبا المسدس إليهما ..

رعد صائحا : أنا هأقوص هادول اللى معى!

سارة صائحة : ما تخافش علينا يا ربيع ! ما يقدروش يقتلونا!

فيسدد رعد المسدس إلى صدرها صارخا فيها: اخرسى!

ـ سارة تهدد رعداً : إذا رجعت من غيرنا اللى مأجرينك حايضربوك بالرصاص أنت !

وتشير سارة إلى عبد العظيم وحديثها لرعد:

ده ضابط المخابرات المصرية.. عايزينه؟!

ـ عبد العظيم فى شده الاضطراب : مخابرات ؟!

فترمقه سارة بنظرة تعجب من أمره .. فى حين عبد العظيم يتمتم فى استسلام : مخابرات مخابرات.. بس نعيش ! فجأة تدخل يد ربيع بالمسدس وتهوى به بعنف فوق مؤخرة رأس رعد.. ويترنح رعد... بينما ربيع يفتح باب السيارة.. ويفيق رعد نوعا من الصدمة .. ويهم باستخدام مسدسه فيمسك ربيع بمعصمه ويسحبه خارج السيارة بعنف.

ربيع فوق رعد والمسدسان على الأرض حوليهما.. وينهال ربيع على وجه رعد.. ويبدو رعد وقد خارت قواه..

ـ ربيع : كنت واخدهم على فين ؟ انطق يا حيوان!

(مع لكمة فى وجه رعد وفى عينيه وفى فكه الذى ينزف الدم منه)
أنا حأخليك تتكلم !

يضغط ربيع على عنق رعد بقبضتيه فى عنف حتى يبدو أن رعدا يكاد يختنق تماما.

ـ رعد : عا.. عا.. عا تكلم ..

ـ ربيع متخليا عن عنق رعد: انطق يا حيوان!

ـ رعد : على لورنس!

ـ ربيع : ويطلع إيه لورنس ده؟

ـ رعد : عميل فى الموساد الإسرائيلى.

ـ ربيع : كده ؟!

ثم يبدو ربيع وهو فى اندهاش وفى ذهول تماما لما يحدث !

* * *

فى دار لورنس

فى بقعة منعزلة على الجبل تقع دار الكولونيل لورنس رئيس المخابرات البريطانية فى الشرق الأوسط.. وهى دار ذات حديقة صغيرة.. . وسقف من القرميد الأحمر .. ومدخل ذى ثلاث درجات تؤدى إلى باب خشبى صغير .. يؤدى عندما يفتح على صالة متداخلة مع صالون له شرفة عريضة متسعة ..

والمنزل مؤثث على الطريقة الحديثة.

ما بين الصالة والصالون يمضى لورنس جيئة وذهابا .. فى قلق شديد.. مصوبا نظره للأمام.. وهو يرتدى قميصا وبنطلونا.. ومسدس فى جرابه يتدلى حول وسطه.. وفى فمه البايب.. يدخن منه بشراهة وانفعال..

يطل لورنس من خلف زجاج البلكونة.. فيرى السماء تحتضن الجبل وقد تناثرت فيه الأشجار الصغيرة.. وأضواء الفجر تتسلل خلال الظلام الدامس..

وفجأة يرى لورنس سيارة مقبلة.. فيفتح باب الشرفة.. ويتطلع منها.. متهلل الوجه وهو يطل إلى السيارة القادمة.. وعندما اقتربت.. وسطع ضوؤها.. صاح لورنس: لقد وصلوا ! لقد وصلوا !

تقبل السيارة على باب الحديقة ثم تتوقف.. وبها ربيع على مقعد القيادة.. بجواره رعد مقيد اليدين من خلف ظهره.. وفى المقعد

الخلفى سارة وعبد العظيم محررين من القيود.. ولكن سارة تحمل الحبال التى كانت مقيدة بها .. ويصلهم صوت لورنس صائحا : رعد! رعد ! فيدفع ربيع رعدا فى صدره بمسدسه هامسا له: رد عليه يا حيوان ! فيطل رعد من شباك باب السيارة الأيمن الأمامى صائحا : أنا رعد! فيطمئن لورنس ويسرع إلى الداخل .. ليستقبل رعداً .. بينما يهبط ربيع من السيارة ويمضى إلى الحديقة فى حذر.. حتى يصل إلى الباب الداخلى للدار.. وفى هذه اللحظة يفتح لورنس ذلك الباب.. ويظهر مستقبلا رعداً .. فإذا بربيع يعاجله بلكمة تدفع به إلى داخل الصالون.. قبل أن يسمع تحذير رعد له.. خلى بالك لورنس ! خلى بالك لورنس!

يسقط لورنس على الأرض .. فيسرع ربيع بالدخول من الباب شاهرا مسدسه فى وجه لورنس الذى كان يحاول أن يلتقط مسدسه .. ويهدده ربيع قائلا: ولا حركة! فيرفع لورنس يديه استسلاما.. ويتقدم إليه ربيع ويقترب منه وينزع مسدسه عنه مناديا: عبد العظيم.. فيتجه إليه ربيع مازحا بقوله : تيجى تصيده يصيدك ! ثم يتوجه بقوله إلى لورنس : يا حيوان !

وتلقى سارة إلى ربيع بالحبال .. فيتناولها ربيع قائلا لعبد العظيم: حأسلمه لك مكتف .. زى خروف العيد الكبير!

ـ عبد العظيم : وأنا حأعمل به إيه ؟!

فتضحك سارة.. وإذا بصوت سيارتين مقبلتين.. فينتاب الجميع قلق.. بينما يتهلل وجه لورنس وكأنما جاءه الفرج !

تقبل السيارتان على باب الحديقة.. وتتوقفان بجوار السيارة التى حضر فيها ربيع .. ويهبط من السيارة الأولى عادل ومصطفى .. وهى سيارة المخابرات المصرية فى بيروت.. وكان يقودها عادل .. ويهبط عيد السائق من السيارة الثانية التابعة لشركة مصر للطيران ..

يتطلع عادل ومصطفى حولهما بمجرد نزولهما من السيارة.. فيقع نظر عادل على رعد وهو جاثم على الأرض مقيد اليدين والقدمين .. تحت باب سيارة العصابة الأمامى المفتوح .. فيتجه إليه عادل متطلعا ضاحكا : الفيل صديقى ! أمال فين خايب الرجا ؟!

فى هذه اللحظة كانت سارة تطل من باب الدار لترقب القادمين.. فيجيب عادلاً ضاحكاً : هنا ! كتفناه!

نسيبو هنا؟

ـ عادل : هاتوه قوام !

وتدخل سارة مسرعة وهى مستغرقة فى الضحك.. بينما عادل يضحك أيضا إذ نجد كلا من تونى وأسد على الأرض مقيدى الأيدى والأرجل .. فى حين كان عيد يحمل فهداً المقيد أيضا.. ويلقى به فوقهما .. فيغلب الضحك على مصطفى وهو واقف عند الصندوق الخلفى للسيارة قائلا :

فاضل واحد ! فيتحول عيد إلى صندوق السيارة الخلفى المفتوح ضاحكا بقوله : يعطيكوا العافية ! ويميل عيد على الصندوق ويسحب

يعقوب منه مقيد اليدين والقدمين.. وإذ يمضى به ليلقى به على زملائه .. يقبل ربيع حاملا لورنس المقيد أيضا.. وخلف ربيع سارة وعبد العظيم ..

- ربيع : نرميه جنب إخواته ؟!

- مصطفى : لا .. ده مهم! هاته لى هنا!

(مشيرا إلى صندوق السيارة)..

فيلقى به ربيع فى الصندوق الذى يغلقه مصطفى بعد ذلك على لورنس .. قائلا : هيا بنا! ويهم ربيع بالانصراف وهو ينفض يديه مع قدوم سارة عليه تقبله فى خده.. وهما منفردان ..-

سارة : أنت أحسن زوج فى الدنيا!

- ربيع : أيوه يا ستى! هو أنا كنت فاكر أن كل ده حيحصل! طلعت زى الطور المغمية عينيه.. وسحبيته لحد هنا !

- سارة : لكن طلع أسد .. وأنا بأثق فيه وأعتمد عليه !

- ربيع : يا سلام !

- سارة فى دلال: تقدر تعتبرنى مراتك اللى تحت أمرك.. واللى بتحبك بجنون.. وروحى ملكك حتى الموت يا ربيع!

يهم ربيع بتقبيلها.. فيفاجأ بصوت كلاكس سيارة المخابرات المصرية لاستدعائهما.

- ربيع : يوه ! ده شهر عسل ده!

- سارة : نبتديه فى اليونان..

ـ ربيع : دا شهر عسل بدون إزعاج خالص..

تضحك سارة مع صوت كلاكس آخر من سيارة المخابرات لاستعجالهما بالقدوم.. وكان عادل فى مقعد القيادة بالسيارة.. وبجواره مصطفى .. وفى المقعد الخلفى يقبع عبد العظيم .. وتقف سيارة شركة مصر للطيران خلف سيارة المخابرات .. وبها عيد فى مقعد القيادة..

تقبل سارة وربيع ويجلسان فى المقعد الخلفى.. وتنطلق السيارتان على الطريق مبتعدين.. صوت سارة شهر عسل بدون إزعاج .

* * *

مواجهة

يقف العميد محمد حافظ ضاحكا مستندا إلى رف المدفأة.. فى صالون مكتب المخابرات المصرية بلبنان.. وتقف سارة بين عبد العظيم وربيع .. متطلعة إلى العميد محمد .. مأخوذة بمدى الشبه بينه وبين عبد العظيم.. وكان ربيع فى نفس حالة سارة من الذهول والدهشة لهذا التشابه العجيب.

ـ عبد العظيم موجها كلامه للعميد محمد: حظى هو اللى طلعنى شبهك يا أفندم !

ثم يتوجه بكلامه إلى ربيع قائلا : صدقنى أنا مش محمد باشا!

وهنا تدرك سارة.. وقد كانت متأملة الموقف.. ما كان يقصده عبد العظيم فى حديثه إليها فى الملهى .. فتقول مندهشة :

أيوه ! فعلا !

فيجيبها عبد العظيم مضطربا : اعقلى أمال !

ـ سارة : ده شىء فظيع !

ـ ربيع : هو إيه ؟!

ـ عبد العظيم : خلصنا من العصابة .. حتوقعينا فى جوزك !

ـ سارة : يعنى كان قصدك ؟!

ـ عبد العظيم : ده كان قصدك إنت !

ـ سارة : أنا ؟!

ـ ربيع مقاطعا : قولى لى كده ! وأنا كنت ...؟!
عبد العظيم يتأمل ربيعا فيخشاه .. ويمضى منصرفا ناحية الباب : سلامو عليكم ! فيستوقفه العميد محمد : على فين ؟
وكان عبد العظيم قد وصل إلى باب الغرفة .. فاستوقفه ربيع قائلا: فهمنى إيه الحكاية ؟
ـ عبد العظيم : سوء تفاهم يا كابتن!
ـ ربيع ملتفتا نحو سارة : سارة ؟!
ـ سارة وهى بجوار العميد محمد : ده رجل وحش قوى !
ـ العميد محمد : عمل أيه ؟
ـ عبد العظيم متطلعا ناحية العميد: هى اللى جرجرتنى !
(ثم أخذ يقلد سارة باحترام وأدب .. ولكن بطريقة كوميدية)
أنت مكشوف قوى ! حكاية حواجبك دى باينة خالص !
ـ ربيع : حلو! حلو خالص !
ـ عبد العظيم ملتفتا لسارة : هيه ! أكمل ؟! يحاول العميد محمد أن يكبح مظاهر الضحك .. بينما سارة تتقدم منفعلة فى مواجهة عبد العظيم وربيع : أنت مش مكسوف من نفسك ؟!
ـ عبد العظيم ممازحاً : السيدة جاهزة ! تروح عندها؟!
ـ ربيع وهو يهوى بيده على كتف عبد العظيم : هى حصلت كده؟!
ـ سارة : أنا كان قصدى الجاسوسة الإسرائيلية اللى حكيت لك عنها .. قام هو بنيته الوحشة افتكرنى ..

ويتجه عبد العظيم ناحية العميد محمد ليحتمى به قائلا مدافعا عن نفسه : أنا فهمت خطأ على طول يا باشا !

ـ سارة مستثيرة ربيعا فى مزاح : ربيع ! سامع بيقول إيه ؟!

فيتنهد ربيع فى غضب بجدية .. متطلعا ناحية العميد محمد : سامع يا سيادة العميد !

ويتوسل عبد العظيم للعميد قائلا : أسف يابيه!

ـ العميد : على العموم حصل خير ! هو سوء تفاهم لا أكثر !

ـ عبد العظيم متماديا فى استشارة ربيع وموجها كلامه للعميد : وشرفك يابيه قلت لها اختشى .. ده أنت لسه فى شهر العسل !

فيتطلع ربيع إلى سارة لائما.. وهى تصيح وتكاد تبكى من شدة الحرج والغيظ: ربيع .. أنت ساكت على الكلام ده ؟!

ويتدخل العميد ملطفا الجو ومهدئا : الرجل نيته خالصة .. وعلى نياته ! سارة كانت فاهمة أنها بتكلمنى أنا.. ومتصورة أنى عامل حواجب عيرة.. ومغير شكلى .. هو افتكرها معجبة بشخصيته ..

ـ سارة مستنكرة : أنا ؟!

ـ العميد محمد : على العموم حصل خير ... وطلع رجل طيب .

ويلتفت العميد ناحية عبد العظيم مبتسما .. وكان عبد العظيم بجوار المدفأة متطلعا للعميد.. فقال له : هيه ؟! براءة يا سيادة العميد؟!

فيتحول العميد عن عبد العظيم .. متجها بنظره إلى ربيع وهو يقول: أنا سعيد اللى شفتك يا كابتن ! وشاكر لمعاونتك !

ـ ربيع : العفو يا أفندم ! كلنا فى خدمة بلدنا.. ثم ينظر العميد إلى سارة نظرة استفسار عن مدى معرفة ربيع بموضوع جابر والمخابرات .. فتفهم سارة معنى ما يرمى إليه بنظرته .. وتجيبه : كان لازم أفهمه كل حاجة .. بعد ما اتجوزته !

ـ العميد محمد : سبقتينى!

ـ سارة : أنا آسفة !

ـ العميد متجها بالكلام إلى ربيع بعد أن اطمأن له :

وناوى تسافر معها إلى اليونان؟

ـ ربيع : ما أقدرش أتخلى عن مراتى يا أفندم .. وبلدى قبل كل شىء ..

ـ العميد : طبعا عرفت أنهم كانوا عاوزين يقتلوك وجايز يحاولوا تانى !

ـ ربيع : أنا مستعد لأى تضحية ! للشهادة فى سبيل تراب مصر (متطلعا إلى سارة) وسارة أعز عندى من أى إنسان.. حتى من نفسى.. وجابر أخوها أكبر صديق .. وأخ ! ومصر بلدى اللى اتولدت فيها .. وحأموت من أجلها ..

ـ العميد محمد فى صوت خافت تقدروا تطمئنوا لأى شخص يتصل بكم فى أثينا إذا قال لكم س ٤٩ مبارك ..

دى كلمة السر هناك .

ثم يتطلع العميد لساعته .. قائلا : الوقت أزف على طيارتكم .. اتفضلوا أنتم مع السلامة !

ويأخذ العميد ربيعا فى أحضانه.. ويطبق بيديه على ظهره مودعا .. فيودعه ربيع قائلا : الله يسلمك يا أفندم! ولكن العميد يستدرك.. فيقول لربيع وسارة وهما على الباب: على فكرة .. الأستاذ عبد العظيم حيسافر معكم !

فيتطلع ربيع إلى عبد العظيم وهو ينصرف مبتسما : يآنس ويشرف! ويضحك العميد وهو يتجه إلى عبد العظيم بسؤاله : قلت إيه ؟!

فيجيبه عبد العظيم خائفا: أبداً ! ويحاول العميد أن يقنعه بإشعاره بأهميته: وجودك مهم لنا قوى زى ما شفت ..

يحاول عبد العظيم أن يعتذر بقوله للعميد: يا سيدى العمر مش بعزقة ! كفاية كده ! ثم أنا المؤسسة اللى أنا فيها بعتانى فى مهمة عاجلة !

يخرج العميد رسالة من جيبه وينشرها قائلا : فى الحقيقة أنا اللى طلبتك .. والقيادة فى مصر كمان أيدتنى فى كده .. ويتناول عبد العظيم الرسالة ليقرأها .. ويستطرد العميد فى كلامه قائلا: ده تكليف من المؤسسة .. أنك تضع نفسك تحت تصرفنا .. فيستسلم عبد العظيم وهو يقول : أمرى لله !

ويخرج العميد تذكرة سفر من جيبه .. ويقول لعبد العظيم وهو يقدم له التذكرة : الطيارة حاتقوم بعد ساعة إلى أثينا .. وأنا حجزت لك عليها .

ـ عبد العظيم مبتسما : تسويق ؟

فيقاطعه العميد محمد قائلا : وعلى العموم حنكون على صلة بك هناك .. مع السلامة !

ومع خروج عبد العظيم من باب الغرفة قائلا : السلام عليكم.. يدخل عادل ومصطفى من الباب.. فيرد عادل على عبد العظيم :

مع السلامة !

ويتقدم عادل ومصطفى إلى العميد محمد الذى سألهما :

إن شاء الله موفقان !

فيرد عادل وهو يؤدى التحية العسكرية : تمام يا أفندم كله تمام !

وفى صباح اليوم التالى.. يفاجأ اللبنانيون وهم فى طريقهم إلى عمله المبكر .. نساء ورجالاً .. بالسيد لورنس عاريا إلا من ملابسه الداخلية .. مقيد اليدين والرجلين .. فاقد الوعى بتأثير مخدر مؤقت .. وفوق رأسه نصبت لوحة مكتوب عليها : هنا ينام مطمئنا الكولونيل سيدنى لورنس كبير رجال المخابرات فى الشرق الأوسط .. بعد أن اعترف بمؤامرته وأسماء أعوانه ووكلائه فى كل البلاد ..

تستغرق الجماهير فى الضحك ولورنس بينهم يستفيق نوعا ما ويحاول النهوض .. ويفزع حين رأى ما حل به .. ويقفز بين الجماهير التى تستغرق فى الضحك وكأنه «حاوى» ..

وسرعان ما وصلت الأخبار بسرعة البرق إلى أجهزة الرئاسة الكبرى للمخابرات الإسرائيلية .. وإلى كبار قادة إسرائيل .. تنبئهم وتؤكد لهم

ما حدث للورنس وأتباعه .. وما فعله المصريون من رجال المخابرات المصرية.. برجال المخابرات الإسرائيلية وأعوانهم..

ويتوجه القائد اسحق رابين إلى مكتبه فى الصباح الباكر من ذلك اليوم التالى من العملية .. وقد جلس على مقعده بمكتبه .. فى حالة ثورة .. بينما يجلس أمامه جولدمان على مقعد أمام المكتب.. ويقف حاييم فى الطرف الآخر من المكتب والقائد يبدو فى شدة الغضب.. وحاييم مضطرب يحاول أن يبرر فشله .. لكن جولد مان تبدو عليه ملامح الارتياح لهذا الفشل ..

ـ القائد وهو يدق المكتب بقبضة يده صائحا فى حاييم :

فضيحة .. جينا نعمل الدكتور جابر طعما للمخابرات المصرية .. صار طعما لنا نحن .. من الذى كان يتصور ما حدث للورنس ؟ ومن يصدق أن ضابط المخابرات المصرية يظل مكشوفا لنا مثل الشمس، ثم يهرب من أيدينا .. ويسخر منا بهذه الصورة البذيئة ؟

ـ حاييم : لقد بدأت أشك أن هناك خيانة فى تنظيمنا!

ـ القائد يتطلع إلى حاييم بنظرة شك وخبث : أنا لست مرتاحا لموريس !

(ثم يقف القائد وهو يضحك ساخراً) هو سبب الفشل ؟ أليس كذلك ؟ (ثم يعاود الجلوس على المكتب فى هدوء)..

ـ حاييم : إن موريس قد أعطى تعليمات من ورائى بقتل ربيع زوج سارة .

ـ القائد : من أجل أن يتخلص منه ؟!

ـ حاييم : حتى تفرغ له سارة !

ـ القائد فى سخرية: أهكذا ؟

ـ حاييم : لورنس كان يحب سارة من زمان .. من أيام أن كان يعيش فى مصر .. فى المدارس الأجنبية .

ـ القائد يدق المكتب بقبضة يده : كفاك من الكلام الفارغ !! كل واحد يرمى بالمسئولية على الآخر !

أنا أريد محمد حافظ هنا ! أو جابر لازم يتكلم ! مزقوا سارة أخته أمامه حتى يتكلم .. أسرار الصواريخ المصرية.. القاهر والظافر .. كلها.. أريد انتصارا ساحقا .. أتسمع كلمة ساحق ؟!

(وبعد برهة صمت قصيرة) وأريد انتقاما ساحقاً !

يؤدى حاييم التحية العسكرية للقائد .. وينصرف .. والقائد يصيح : أى فشل بعد ذلك سأشنقكم جميعا !

ثم يلتفت القائد إلى جولدمان هاتفا فيه : جولدمان !

فينهض جولدمان هامسا : تسافر إلى أثينا لتراقب العملية بنفسك حتى نهايتها ! فيجيبه جولدمان بالموافقة والسمع والطاعة .. ويستطرد القائد فى كلامه : وإذا شككت فى موريس .. فاقتله بسرعة !

ـ جولدمان: وهو كذلك !

وقوع في المصيدة

فى أحد الشوارع التجارية الكبيرة بالعاصمة اليونانية أثينا ..
يقع محل كبير فوقه لافتة .. معرض للمصنوعات المصرية ..
مكتوبة باللغة العربية وباليونانية .. وفى فاترينة المحل نماذج من تلك المصنوعات المصرية .. مثل ثلاجات إيديال وسخانات مياه ومواقد بوتاجاز وأجهزة تليفزيون أبيض وأسود ...

وينطلق من المحل صوت كوكب الشرق أم كلثوم من خلال مكبر صوت .. وهى تغنى : « أنا إن قدر الإله مماتى .. لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى» .

الشارع ممتد طويل .. مزدحم بالمارة.. يعج بالحركة وأصوات الأغانى الشعبية .. ومع انتهاء أغنية أم كلثوم تقف سيارة على الرصيف المقابل لمحل المعروضات المصرية .. وكان على مقعد القيادة موريس وبجواره ليفى.. ويبدو أنهما مهتمان بمراقبة شخص معين بالرصيف الآخر من الشارع ..

وإذا بالشخص الآخر هذا الذى يراقبانه.. هو عبد العظيم الذى يقف ومعه رجل يونانى .. أمام فاترينة المعرض المصرى.. وعلى الرصيف المحاذى للمعرض تقف سيارة بجوارها سائق يونانى.. فى انتظار عبد العظيم .

ـ عبد العظيم : دى حاجة عظيمة والله!

ـ المدير اليونانى : الإقبال على المصنوعات المصرية هنا كبير قوى .. خصوصا ملابس المحلة..

ـ عبد العظيم مصافحا : أتمنى لك كل التوفيق .. وإلى اللقاء !

ـ المدير اليونانى: إلى اللقاء !

يتحرك عبد العظيم ناحية السيارة الملاصقة للرصيف.. والسائق اليونانى يفتح له الباب.. فيصعد عبد العظيم .. ويصعد السائق .. وتنطلق السيارة.. وتنطلق سيارة موريس فى طريقها الأصلى مسرعة إلى فندق أثينا .. فتقف أمام باب الفندق ..

ويخرج موريس مظروفا من جيبه عليه اسم سارة هلال باللغة الإنجليزية.. (مدام سارة هلال) ويناوله إلى ليڤى .. ويأمره بتسليمه فى الفندق ..

ثم يعود موريس بسيارته ومعه ليڤى .. مخترقا طرقا جانبية فى الاتجاه المضاد .. وهو اتجاه سيارة عبد العظيم .. ليلتقى موريس بسيارة عبد العظيم عند مفترق الطريق ... ويظل يتبع سيارة عبد العظيم بسيارته..

تبدو سيارة عبد العظيم مقبلة من بعيد.. تتبعها سيارة موريس .. وعند مكان محدد يخرج موريس يده مشيرا بالتحرك لسيارة تقف على بعد .. فى الاتجاه المضاد لسيارة عبد العظيم .. وهى سيارة مكشوفة .. وبها سيدة يونانية على عجلة القيادة.. فتدير السيدة محرك موتور سيارتها وتنطلق بها ..

ويستغرق موريس وليڤى فى الضحك .. وموريس يهتف : وقع الضابط بتاعهم فى المصيدة ! ومن مكان مرتفع تمضى سيارة موريس

على يمين سيارة عبد العظيم وتميل نحوها فتتحرك سيارة عبد العظيم مرغمة ناحية اليسار مع قدوم سيارة السيدة اليونانية فيحدث اصطدام عنيف .. مع ابتعاد سيارة موريس واختفائها .

يطل عبد العظيم من سيارته .. وتطل السيدة اليونانية من سيارتها .. وتصيح بلكنة يونانية : إيه ده ؟! مش تحاسب !

ـ عبد العظيم : أنت اللى تحاسبى !

ـ اليونانية فى دلال باللهجة العربية: أنا ؟

ـ عبد العظيم وقد مال قلبه وسال لعابه : الله ! أنت بتتكلمى عربى؟

ـ اليونانية تبالغ فى دلالها : حصل خير .. إذا كان أوتومبيلك فيه حاجة .. تعال أوصلك !

ـ عبد العظيم : أيوه.. هو الموتور باظ.. مش حيقدر يمشى ..

تضحك اليونانية فى دلال.. وتفتح باب سيارتها.. فيترك عبد العظيم سيارته بسائقها اليونانى.. ويقبل على سيارة السيدة اليونانية.. ويقعد بجوارها.. فتنطلق بسيارتها .. ووراءها سيارة موريس تتبعها ..

* * *

رسالة فى أول ليلة من شهر العسل

غرفة نوم ربيع وسارة .. بفندق أثينا.. وهو من أفخم فنادق العاصمة اليونانية.. وهى غرفة لشخصين .. بها مقعدان ومنضدة .. وفازات ورد..

ولها شرفة تطل على منظر جميل .. وبها جهاز تليفون .. ومكبر صوت يعطى موسيقى شعبية يونانية خفيفة ..

يطرق ساعى الفندق باب الحجرة .. فتفتحه سارة.. وإذا به يناولها رسالة .. وهى الرسالة التى كتبها موريس وأمر ليڤى بتوصيلها لفندق أثينا .. وكان ربيع فى هذه اللحظة يطل من الشرفة على المنظر الخلفى الجميل .. تفضى سارة الرسالة وهى تتقدم نحو الشرفة .. فيسألها ربيع ملتفتا إليها مين يا سارة؟ فتجيبه سارة وقد دخلت الشرفة وهى تنشر الرسالة وتتطلع إليها:

ده جواب من موريس !

يقبل ربيع على سارة فى اهتمام وهو متجهم .. ويطالع معها الرسالة التى كتبت بخط عربى ردىء .. وسارة تقرأ بصوت خافت :

عزيزتى سارة هانم ! اعذرينى لخطى العربى الردىء .. منذ"١٦"ستة عشر عاما ماكتبتش عربى إلا خمس مرات فقط.. المهم أهلا بك ! ومرحبا أنك جئت وشكرا على مجيئك .. ميرسى!

لقد رتبت كل شىء لتلتقى بأخيك الدكتور جابر.. يتحول ربيع عن الرسالة متجهما ويضرب سور الشرفة بيده.. ويجز على أسنانه..

بينما سارة تتابع القراءة: غداً.. فى وقت الظهر.. ستجدين سيارة ويكون معك زوجك ربيع لنسافر معا .

فيعلق ربيع على ذلك وهو يدعك ذقنه مفكرا: كده ؟

يعنى ما فيش مانع من ربيع ؟ فتلتفت له سارة قائلة فى رعب: لازم هو مدبر لقتلك يا ربيع!

يجذب ربيع منها الرسالة فى غضب ويقرأ فى تهكم وسخرية : وحشنى أخوك.. سيجتمع شملنا مرة أخرى.. فإلى اللقاء !

يعصر ربيع الرسالة فى يده قابضا عليها فى غضب.. وهو يجز على أسنانه.. .. وسارة تتطلع إليه مشفقة عليه.. ثم تقول له : أنت لا يمكن تروح معى!

فالتفت إليها ربيع صائحا فى حماس الغيرة بلا إرادة منه: عايزة تروحى له لوحدك يا سارة ! حيقتلوك يا سارة ! فتستنكر سارة قول ربيع.. وتعبر له عن خوفها عليه هو .. فيبدو ربيع حائرا متهالكا.. ويتهاوى على مقعد بجواره.. بينما تتدفق الدموع من عينى سارة...

ربيع يعقد يديه .. فى شدة الأسف والقلق.. وهو يتمتم : أنا معك يا سارة ! أنت مراتى أمام الله والناس.. نعيش ونموت مع بعض !

ـ سارة باكية : أنا خايفة عليك يا ربيع !

ربيع : وأنت ؟

سارة: طول ما هم عاوزين يواجهونى بجابر.. مش ممكن حيفكروا فى قتلى!

ربيع فى حقد وغضب: فيه خطر تانى غير الموت..

موريس! موريس!

سارة: مخاطرة لابد منها..

ربيع منتفضا: لا.. لا..لا..

سارة : لازم أقبل التضحية! الاستشهاد والوطن يا ربيع أغلى من عمرنا افتكر زعماءنا.. سعد زغلول ومصطفى كامل وزعيمنا جمال عبد الناصر.. والشعب المصرى العظيم وشهداءنا أبطال حرب ٤٨ و ٥٦و ٦٧ وبلدنا الحبيبة وأطفالنا زهورنا أجيالنا اللى جايه أولادنا إن شاء الله علشان تحكيلهم الحدوتة المصرية.

يتأملها ربيع.. وقد أخذه حماسها الوطنى.. فأكبر فيها روح التضحية .. فتعلق بذراعها وجذبها إليه فى حضن دافئ فيه حرارة الوطنية.. كأنها أمه.. فتسقط سارة على الأريكة بجواره.. وهو يقول لها : ده أنا أفديك بروحى ! بدمى! وأفدى مصر أمنا العظيمة! فتلقى سارة بنفسها على فخذى ربيع.. ملتصقة به والدموع تسيل من عينيها.. ثم تتأمله فتجده شاردا فتهمس : يا حبيبى يا جوزى! وتقبله فى رأسه وفى جبينه.. وهى تقول : سرحت فى إيه ؟

ـ ربيع : فى بلدنا .. فى مصر يا سارة!

ـ سارة وقد أسندت رأسها على كتفه مازحة: يعنى مش فى سارة؟!

ـ ربيع : مافيش فرق يا حبيبتى.. أنت ومصر واحد يا سارة.. بلدنا حلوة زيك .. نيلها.. وشعبها الطيب.. وحضارة سبعة آلاف سنة..

تنهض سارة مبتسمة وهى تقول : تعرف أنك بطل قوى يا ربيع! ثم تمضى إلى المرآة .. وتمسح دموعها..

وتزين وجهها متحولة إليه فى استشارة : بس باينك نسيت الوندرفول المدهش ؟!

فيبتسم ربيع وقد أدرك مرماها.. فينهض متجها إليها ويحيط خصرها بذراعيه.. وقد عكست المرآة منظرهما الجميل.. وربيع يهمس فى أذنها: ما نسيتش إن الليلة.. أول ليلة فى عمرنا .. أول ليلة فى شهر العسل! يا سارة يا روح قلبى!

- سارة متسائلة : حنروح فين ؟

- ربيع : حنسهر للصبح !

- ساره : فين ؟

- ربيع : هنا فى غرفتنا !

فتحول إليه سارة وتحيط عنقه بذراعيها .. فيقبلها فى جبينها..

يسمع طرق على الباب .. فتنزعج سارة.. ولكن ربيع يطمئنها قائلا: دى مفاجأة الليلة!

سارة: مفاجأة إيه؟

ربيع: حتشوفى دلوقت!

ويفتح ربيع باب الغرفة .. فإذا بالجرسون حاملا بعض الأصناف المختلفة من المشهيات واللحوم الباردة.. وبعض الأطباق اليونانية المشهورة.. وزجاجة شامبانيا ملفوفة بفوطة بيضاء.. ويضع كل هذا

على المائدة بالغرفة.. منسقا وضع الأطباق والأطعمة.. وواضعا فازة ورد وزهور يونانية مناسبة على المائدة.. ثم يخرج الجرسون.. فتدهش سارة قائلة : إيه كل ده ؟ إيه كل ده ؟

فيجيبها ربيع: ده عشاء العرايس يا عروستى الليلة !

فتضحك سارة وربيع ضحكات تدل على السعادة الغامرة وتقول شهر عسل بدون إزعاج ..

* * *

تليفون في منتصف الليل

على أنغام موسيقى حالمة.. ومع ضحكات الحب والسعادة.. وقفشات المرح والسرور والسمر.. بعد تناول طعام العرس..

وتبادل اللقيمات.. فى جو يملؤه عبير الشوق والحنين.. ويتمايل فيه القلبان طربا.. والجسمان رقصا.. فى دلال وتعاطف وانسجام.. ثم ارتماء على السرير الذى ضم الجسمين عناقا.. والروحين احتضانا.. والشفاه لثما وتقبيلا.. وهما فى حلم من أحلام النشوة فى أول ليلة من ليالى شهر العسل إذا بجرس الهاتف يدق.. ويدق .. فتضطرب سارة.. وينزعج ربيع.. ولكن الهاتف يظل يتابع دقاته الصاخبة.. وكأنه ينتزع من قلبيهما النشوانين بخمر الحب..

دقاتهما الإيقاعية.. التى يوقعها الحنان عازفا على أوتار القلبين معزوفة العشق الأبدى .. فيحيل ذلك الهاتف تلك الدقات الخافقة إلى أنات خانقة.. تنبعث من جوفه الأصم.. إلى صدريهما اللاهثين.. فيمضى ربيع متثاقلا مترنحا.. يمد يده على سماعة الهاتف.. ويهم برفعها .. فتستوقفه سارة وتناديه: ربيع! فيتوقف عن رفعها ملتفتا إلى حبيبته وزوجته وهى تتوسل إليه قائلة : ما تردش .. بلاش عكننة الليلة!

ولكن ربيع دون اكتراث أو خوف من المجهول يقول :

لا.. ما دام رسموا عمليتهم بكرة .. يبقى الليلة ما فيش خوف.. الليلة إجازة ! ويضحك وهو يرفع السماعة.. ويضعها على أذنه ..

وسارة تتأمله فى قلق.. ويهتف ربيع : آلو ! آلوا! وكان على الجانب الآخر الأستاذ عبد العظيم: مساء الخير يا كابتن !

وكان عبد العظيم قد اختطفته السيدة اليونانية.. وسلمته إلى المخابرات الإسرائيلية .. فألقته فى قبو لا يدخله ضوء.. فليس له منافذ..إلا من ضوء كهربى خافت .. وهذا القبو كان مما يستخدم لحفظ الخمور.. فيه صناديق وبراميل مختلفة للويسكى والكونياك والنبيذ والشمبانيا.. وبعض تلك الصناديق كان مفتوحا وتظهر فيه زجاجات الخمور مما يدل على طبيعة المكان.. وللقبو عدة درجات من السلم صاعدة تنتهى أعلاها بباب خشبى سميك ذى مزاليج وأقفال حديدية.. وبالقبو أيضا عدة مقاعد ومائدة .. وجهاز تليفون متصل بسويتش السفارة الإسرائيلية فى أثينا.. وهو تليفون من النوع المثبت على الحائط بلا قرص .. وكانت سماعة التليفون فى يد جولدمان. يضعها على أذن عبد العظيم الذى ربط بالحبال إلى مقعده تحت التليفون.. وبدا مقيد القدمين واليدين.. وتظهر على جبهته وحول عينيه المتورمتين.. آثار التعذيب واضحة .. وحول شفتيه اللتين تجمد فيهما الدم.. فضلا عن شعره المبعثر .. وقميصه الممزق الذى يكشف عن صدره..

يبدو عبد العظيم شديد الاضطراب مدفوعا إلى ارتكاب جرم يأباه ..

ـ ربيع وكأنه فوجئ بالأستاذ عبد العظيم فيتأكد:

ـ من ؟!

ـ عبد العظيم متلعثما : أنا عبد العظيم يا كابتن.. أنا.. أنا عبد العظيم.

ـ ربيع مبتسما وفى مرح: أهلا أستاذ عبد العظيم!

(تتنهد سارة تنهيدة ارتياح) وربيع يكمل استفساره:

خيرا يا أستاذ عبد العظيم ؟!

يتردد عبد العظيم فى الرد على ربيع.. فيدفع جولدمان قدمه فى بطن عبد العظيم وهو يبعد السماعة عنه .. ثم يقرب السماعة عن أذنه.

ـ عبد العظيم مستسلما فى يأس : مسألة مهمة جدا.. تجينى حالا فى الأولمب.. لا .. ضرورى..

أرجوك .. مع السلامة!

يضع جولدمان السماعة فى موضعها على الحائط وهو يبتسم فى انتصار وحقد..

وتسأل سارة : ما الخبر؟! فيجيبها ربيع بما سمع من عبد العظيم.. فتتعلق سارة بربيع متوسلة قلقة : بلاش المشوار ده يا ربيع !

ـ ربيع مهونا عليها الأمر: قلت لك ما تخافيش !

ـ سارة فى حسرة : ليلة واحدة ما نتهناش بها؟

يرتدى ربيع ملابس الخروج على عجل.. ويهم بالانصراف وهو يطمئن سارة قائلا: حشوف إيه الحكاية .. وأرجع حالاً.. من أجل بلدنا!

فتستوقفه سارة .. ويلتفت إليها فى عطف وحنان .. فتندفع إليه تحتضنه .. وتتشبث به.. ثم تتأمله قائلة ! مع السلامة ! ربنا معك! وينصرف ربيع.. وتغلق سارة الباب.. وتستند إليه قلقة.

فى هذه اللحظة كان اثنان من اليونانيين يوحيان بالريبة.. يقفان عند مدخل الفندق ..أحدهما بنايوتى ويبدو من الطبقات العاملة.. والثانى كرياكو سائق تاكسى..

على أحد جانبى مدخل الفندق يقف بنايوتى متلفتا حوله فى ريبة.. ويخرج ربيع بملابسه الأنيقة.. فيثير انتباه بنايوتى وينادى ربيع على تاكسى .. فيقبل كرياكو بالتاكسى ويقف أمام مدخل الفندق.. ويصعد ربيع فى التاكسى .. ويكسر كرياكو العداد.. وينطلق .. فتتبعه سيارة أخرى..

وبمجرد انطلاق السيارتين يصل حاييم وليفى إلى الفندق.. فيتطلعان إلى اتجاه انصراف السيارتين.. ثم يمضيان ويدخلان الفندق. وبنايوتى يتتبعهما بنظره حتى اختفيا داخل الفندق.. وكان حاييم يحمل لفافة فى يده.. تبدو كلفائف التورتة الأمريكية الجميلة.

وكان فى هول الفندق رجل يونانى مريب.. على أحد المقاعد.. ويبدو قلقا متطلعا لمدخل الفندق.. ومع دخول حاييم وليفى متطلعين إليه.. يَنهض ويتبعهما متجهين إلى المصعد.. فيصعد حاييم وليفى.. بينما يمضى بابا دوبلو على عجل.. بعيدا فى الممر .. وينحرف مختفيا فى ممر جانبى..

وكانت سارة من شدة قلقها قد لبست ملابس الخروج على سبيل الاحتياط لحدوث أى أمر مفاجئ..

وجلست وهى تنزع أوراق زهرة ورقة.. ورقة فى عصبية.. وينطفئ النور فجأة .. فتنهض سارة وهى تشهق فزعة .. وتمضى عدوا إلى باب الغرفة تفتحه .. فتجد الممر ويخرجون منه.. وسارة تطل من باب الغرفة.. ويصيح النزلاء من مختلف الجنسيات ومختلف اللغات .. وأصواتهم مختلطة .. وهم فى صياحهم : ماذا حدث؟ انطفأ النور؟ لماذا ؟ النور.. النور.. بلكنة إنجليزية وأخرى فرنسية.. النور.. تخرج سارة إلى الممر مطلة على الضجيج.. وفى نفس الوقت يندفع ليفى دون أن تحس به سارة.. ويكمم فمها بإيشارب.. فى حركة خاطفة.. ويسحبها بعنف إلى داخل الغرفة.. ويقبل حاييم حاملا اللفافة معه.. ويدخل خلفهما الغرفة .. وإذا به يهم بغلق الباب فيندفع بنايوتى محشورا فى الباب.. وينجح بنايوتى فى الاندفاع داخل الغرفة.. ويغلق الباب عليهما.. وكانت الغرفة مازالت مظلمة..

يرفع حاييم سكينا ويهم بطعن بنايوتى فى صدره .. فيتفادى بنايوتى الضربة بالابتعاد فى حركة خاطفة .. فتنغرز السكين فى الباب.. وينتهز بنايوتى الفرصة.. فيلكم حاييم بلكمة فى صدغه بمنتهى العنف ويلقى به .. فيندفع حاييم بظهره إلى الفراش وخلفه ليفى يحيط عنق سارة بذراعه فى عنف حتى لتكاد تختنق .. ثم يضع كمامة بنج على فمها.

تقع اللفافة من يد حاييم على الفراش.. وينهض حاييم مندفعا نحو بنايوتى.. يشتبك معه.. وسارة على الفراش جثة هامدة.. وليفى يفتح اللفافة.. ويخرج منها جوالا ينشره .. ويهم بإدخال سارة فيه.. ويسقط حاييم على الأرض وفوقه بنايوتى .. ثم يتخلص من تحته ليصعد فوقه.. فى حين كان ليفى يحمل سارة فى الجوال على ظهره.. ويركل بنايوتى فى وجهه .. فيندفع بعيدا .. ويهم بنايوتى بمهاودة الانقضاض على حاييم الذى يهمس إلى ليفى: روح أنت ! فيمضى ليفى حاملا سارة على ظهره .. بينما ينقض بنايوتى على حاييم .. فيفلت منه حاييم ويصرعه تحته.

بنايوتى تحت حاييم يعصر رقبته بين يديه.. ويخرج ليفى ساحبا الباب خلفه .. وبحركة خاطفة استطاع بنايوتى أن يسل من جيبه سكينا .. ثم يلف يده خلف ظهر حاييم ويطعنه فى ظهره .. فيسقط حاييم من على بنايوتى ..

* * *

رقصة النار

فى مسرح إغريقى قديم.. وسط معبد أثرى من معابد الأغريق .. كانت تقدم عروض كلاسيكية فنية .. تعبر عن تاريخ اليونان العريق.. وتضفى جلال الماضى على روعة الحاضر ..

فى هذا المكان من المسرح الكبير.. كانت تقدم رقصة جماعية.. فى شكل مجموعات متناسقة ... تصاحبها موسيقى عنيفة.. وكانت هذه الرقصة تسمى برقصة إله النار أو إله الشر.

وبينما كانت الجماهير تتابع الرقصة .. إذ بربيع يظهر باحثا عن عبد العظيم هنا وهناك.. فيبتعد ربيع بعض الشىء عن العرض المسرحى.. ويقترب من أحد الأعمدة الأغريقية بعيدا عن صفوف الجماهير وموائدهم .. ويستند إلى العمود .. متطلعا من بعد على العرض.

وينتهى العرض.. وربيع فى مكانه مستندا إلى العمود يصفق مع الجماهير .. وهو يتلفت حوله فى ضيق .. وتقبل عليه مضيفة يونانية ترتدى يونيفورم خاصة بمكان العرض.. وتنادى : كابتن ربيع ! ويندهش ربيع عندما يراها.. ولكنها تستدركه قائلة : مستر عبد العظيم منتظرك.. فيفاجأ ربيع ويسألها:

هو وير (أين؟).

ـ المضيفة : هو بيزور المكان فين..

ـ ربيع : عجايب والله على الرجل ده ! بقى ينصرف عن المتعة دى ويروح يتفرج على الآثار ؟!

ـ المضيفة : سأذهب بك إليه.

ـ ربيع : يعنى يسيبنى مراتى عشان يفرجنى على الآثار؟! رجل يجنن.. اتفضلى !

ويمضى ربيع مع المضيفة مبتعدين.. نحو ربوة عليها مجموعة من الأعمدة القديمة.. ويصعدان تحت ضوء القمر.. ويخرج فجأة من خلف الأعمدة رجلان أحدهما بابا دوبلو اليونانى الذى يعمل فى خدمة مخابرات إسرائيل .. ومعه إليانى اليهودى الذى يجذب ربيعا من رقبته .. فيحاول ربيع التخلص منه فيلكمه اليهودى.. فيترنح ربيع.. ويتلقاه بابا دوبلو بلكمة عنيفة .. فيتبادل معهما ربيع اللكمات .. ولكن اليهودى يفاجئ ربيع بلكمة قوية .. وكان بابا دوبلو قد وضع قدمه خلف ظهر ربيع عند حرف مهوى عميق.. فيسقط ربيع فوق صخرة قريبة بارزة أى حفظته من السقوط فى الهوى .. لكنها أصابت جبهته .. فأخذ الدم يسيل منه ..

وبدا كجثة هامدة ..

يقترب اليهودى وبابا دوبلو من المهوى ويطلان على ربيع.. فيجدانه بهذه الحالة.. فيهتف بابا دوبلو: خلاص! خلصنا عليه! وخلصنا منه!

ويمضى بابادوبلو واليهودى مبتسمين .. وفى هذه اللحظة يظهر كرياكو سائق التاكسى .. وقد أسرع إلى ربيع وهو ملقى على

الصخرة والدم يسيل من جبهته .. ويبدو فاقدا للحياة.. فيرفع كرياكو رأس ربيع فوق صدره.. ويربت فوق خده لإفاقته .. فيتمتم ربيع وهو في غيبوبة : سارة! سارة!

كان الوقت قد قارب طلوع الفجر عند السحر.. وكان بابا دوبلو قد لحق بليفي .. وهو يحمل الجوال الذي بداخله سارة.. فأخذ يعاونه في حمله.. وقد وصلا إلى منطقة صيد على البحر.. حيث شباك الصيادين .. وحيث ترسو الزوارق البخارية ومراكب الصيد اليونانية..

يتجه بابادوبلو وليفي بالجوال نحو زورق من الزوارق الكبيرة.. كان يقف على سطحه خريستو قائد الزورق اليوناني.. ويرفع ليفي الجوال بمعاونة بابا دوبلو وهما على الشاطيء.. ويتناوله منهما خريستو.. ويحمله على ظهره.. وينصرف خريستو إلى داخل الزورق محييا ليفي وبابا دوبلو.. وكان موريس ينتظر صيده وهو على باب الكابينة في داخل الزورق.. واقفا والابتسامة تعلو وجهه في إحساس بالانتصار.. وقد أخذ يبلع ريقه كالحيوان..

يدخل خريستو حاملا الجوال ويضعه على السرير داخل الكابينة .. وهي كابينة صغيرة ذات فراش بسيط.. ويتدلى من سقفها فانوس مضيء .. إذ لا يزال ضوء الفجر غير كافٍ..

يغلق موريس باب الكابينة .. ويتجه إلى الجوال ويفتحه فيظهر وجه سارة.. وهي فاقدة الوعي بتأثير المخدر.. فيصيح موريس في نشوة : سارة سارة!

ويبدأ الزورق فى الحركة .. وليقى وبابا دوبلو على الشاطئ يشيعان الزورق.. وهو يبتعد فى البحر..

ويلتفتان فى سرور.. وأشعة الشمس أخذت تتسلل فى الأفق البعيد من بطن السماء الصافية الجميلة.

* * *

حقيبة على باب السفارة

كان القبو الذى فيه عبد العظيم داخل سفارة إسرائيل بأثينا.. دائم الظلمة .. ليس فيه منافذ للضوء .. ولهذا فإنه يضاء بالكهرباء.. ومع أن الوقت كان مع إطلالة الفجر بأشعته التى بدأت تتخلل الأفق.. إلا أن القبو معتم..لا يدخله ضوء إلا عندما يفتح الباب.. فنرى ضوء الفجر باهتا.. وفى تلك اللحظة كان وجه جولدمان يتفصد عرقا.. وفى يده كرباج يهوى به على وجه عبد العظيم الذى فقد وعيه تماما من تأثير التعذيب .. ورأسه ساقط فوق صدره.. والدم يسيل من جروحه .. ولا يزال مقيداً ..

وينفتح باب القبو فجأة .. فيلتفت جولدمان للباب.. ليرى ليڤى يهبط درجات السلم وهو يقول : القائد يعرف يخليه يتكلم فى إسرائيل.

ـ جولدمان مستفسراً:

أين حاييم؟

ـ ليڤى متعجبا : هو لسه مرجعش؟!

ـ جولدمان: ! لسه للآن!

يبدو القلق على وجه ليڤى بينما يظهر بابا دوبلو على الباب حاملا حقيبة كبيرة يتخطى بها الباب.. ويبدو مجهدا وهو يحملها ..

ـ جولدمان :

هل وضعت سارة فى هذه الحقيبة؟

ـ ليڤى: لا .. سارة مع موريس فى طريقها الآن لأخيها جابر.

ـ جولدمان : حسناً!

ويلتفت جولدمان إلى الحقيبة متسائلا: شنو فى هذه الحقيبة؟

ليڤى : مش عارف !! إحنا لقيناها على باب السفارة دلوقت .

يبدو الاهتمام على وجه جولدمان.. بينما تسقط الحقيبة من يد بابا دوبلو متدحرجة على درجات السلم.. ويتهاوى بابا دوبلو من شدة الإعياء على درجة من درجاته.

يميل ليڤى وجولدمان على الحقيبة وهى على الأرض .. ثم يفتحانها.. فتظهر جثة حاييم بداخلها .. مع همهمة فزع من كليهما.. ويهتف ليڤى فى ألم ! حاييم ؟!

ويتبين جولدمان وجود بطاقة على جثة حاييم..

فيتناولها ويتطلع إليها ويقدمها إلى ليڤى ليقرأها لأنها مكتوبة باللغة العربية.

يقرأ ليڤى البطاقة :.. لقد حقق موريس هدفه.. الآن يستطيع أن يخلف حاييم فى منصبه .. فيبدو كبيرا فى عين معبودته سارة .. فهنيئا لموريس .. إنه إسرائيلى مخلص ! .

يتبادل جولدمان وليڤى نظرات حاقدة.. ويجز جولدمان على أسنانه.. بينما بابا دوبلو جالس على السلم فى المؤخرة.

فى تلك اللحظة كان العميد محمد حافظ يجلس على كنبة وهو

يدخن سيجارة مفكراً.. فى مخبأ المخابرات المصرية باليونان.. وهذا المخبأ عبارة عن دار فى مكان شعبى فى أثينا.. وهى على الطراز اليونانى..

وبينما العميد محمد جالس.. وأمامه بنايوتى واقف بين عادل ومصطفى .. يحكى ما حدث قائلا: وحطينا الجواب فى الشنطة.. ورميناها على باب سفارتهم مع الكارت.

ـ العميد محمد محذرا: دى أول وآخر مرة تقتل فيها يا بنايوتى!

ـ بنايوتى: نعملوا إيه ! كان لازم نقتلوا..

ـ العميد : أنت مش عارف أننا ما نحبش الدم؟!

ـ بنايوتى: وأنا ما نحبش نموت !

ـ يضحك عادل ومصطفى .. وإذا بصوت صائح على باب.. هو صوت ربيع: مراتى ! مراتى سارة ! سارة! فيجز العميد على أسنانه.. ويلتفت الجميع إلى باب الغرفة.. ويدخل ربيع ثائرا وقد تجاوز الباب وخلفه كرياكو..

ـ ربيع فى غضب: ليه كده يا عبد العظيم؟!

ـ العميد محمد : أنا مش عبد العظيم!

ـ ربيع : أمال فين عبد العظيم ؟!

ـ العميد: خطفوه يا ربيع..

ـ ربيع مأخوذاً : إيه ؟!

ثم يتقدم ربيع إلى العميد محمد صارخاً فى وجهه: سارة ؟ فين سارة ؟ أنا مستعد أروح وراها النار ! جهنم! (ويضرب بيده على مكتب العميد) بس فين؟

فين النار؟
ـ العميد : اصبر يا ربيع! ضرورى حنعرف هى فين!
ـ ربيع يجز على أسنانه فى غضب : شرفى ! شرفى! عرضى!
ـ العميد فى هدوء متسائلا : وبلدك مصر؟!
ـ ربيع فى حيرة : مانستش لكن .. لكن سارة هى مصر بالنسبة لى!
ـ بنايوتى: بابا دوبلو لازم يعرف هى فين؟
ـ ربيع متلهفا : هو فين؟! معاهم.. مع إسرائيل.. حاجة تكسف ! نسى العيش والملح اللى أكلهم فى مصر ! جريجى صحيح ! إنما يعبد الفلوس.. يحب الورق الأخضر..
ـ ربيع متحمسا: أديله عمرى كله !
ـ بنايوتى: ماينفعش عمرك! أنت تديله فلوس!
يبيع أبوه .. يبيع أرضه .. فى سبيل الفلوس.
ـ العميد محمد يربت على كتف ربيع : اضبط نفسك عشان نعرف نشتغل !
ـ ربيع متمتما : إزاى؟! إزاى يا أفندم ؟!
ـ العميد ملتفتا إلى بنايوتى: شوف بابا دوبلو..
وعايز عينيكم ما تغفلش عن سفارة إسرائيل.. من بعيد حوم حواليها..
ـ بنايوتى: حاضر!
ـ ربيع يتمتم باكيا وهو يكظم نفسه.. سارة ! سارة!

* * *

صندوق فى صالة الجمرك

كان الوقت نهارا.. غير أن طبيعة ذلك القبو الذى يوجد فى سفارة إسرائيل بأثينا.. دائم الظلمة .. فهو يضاء بالكهرباء ليلا ونهارا..

وفى وسط هذا القبو كان يوجد صندوق .. وضع به عبد العظيم . فاقدا الوعى بتأثير مخدر .. وقد صنع هذا الصندوق بحيث توجد به مواضع للرأس والجسد والقدمين مع أحزمة جلدية تحيط بالرقبة والجسد والقدمين.. حتى لا يتحرك الجسد داخل الصندوق وبه فتحات تهوية للجسد..

وقد وقف بحار يونانى يغلق الصندوق على جثة عبد العظيم.. ويدق المسامير حول أطراف الصندوق.. بينما يقف جولدمان وليڤى يراقبان العملية.. وقد كتب على الصندوق بالإنجليزية والعبرية عبارة : وزارة الخارجية الإسرائيلية.. تل أبيب.

ويصل الصندوق إلى جمرك مطار أثينا.. ويوضع على عارضة الجمرك .. وحوله يقف جولدمان وليڤى .. فى هذه اللحظة يسمع صوت عادل ينادى على العميد : محمد بك .. محمد بك.. فيلتفت جولدمان وليڤى فى انتباه شديد.. ويقبل العميد محمد متقدما عادلا ومصطفى ... ويبدو جولدمان وليڤى مأخوذين مضطربين.. فيتمتم ليڤى فى أذن جولدمان قائلا: هو ده العميد محمد الحقيقى! يعنى اللى فى الصندوق ..؟

يقبل العميد محمد مع معاونيه قائلا: عبد العظيم رفاعى .. المدير التجارى لمؤسسة التجارة الخارجية ..

ويضحك العميد محمد ساخرا .. بينما يقبل موظف الجمرك اليونانى مشيرا للصندوق وهو يقول: إسرائيل إمباس؟ لكن جولدمان يهز رأسه نفيا فى اضطراب : لا .. لا!

ويهم جولدمان وليڤى بالانصراف.. فيناديهما موظف الجمرك: هاى! فيلتفت ليڤى إلى الموظف قائلا : الصندوق ده مش بتاعنا.. (ثم يتطلع إلى العميد محمد فى حقد).. ده بتاعهم .. عايزين تلبسونا تهمة ؟!

فيضحك العميد محمد مستغرقا فى الضحك وهو يقول فى سخرية: كده ؟! ثم ينظر إلى موظف الجمرك قائلا له: طيب نفتحه نشوف التهمة ! من فضلك افتح الصندوق..

جولدمان وليڤى ينصرفان على عجل هربا من الجريمة.. بينما عامل الجمرك يفتح الصندوق .. وقد وقف الموظف اليونانى والعميد محمد ومعاوناه عادل ومصطفى يرقبون العملية.. فينفتح الصندوق.. ويظهر عبد العظيم.. فيفزع الموظف اليونانى.. ويميل على الصندوق ليرى عبد العظيم وهو مأخوذ..

وفى صباح اليوم الثانى ينشر الخبر فى الجرائد اليونانية.. ونرى إحدى هذه الجرائد منشورة بين يدى مواطن .. يجلس على مقهى يونانى شعبى بأثينا.. وعلى الصفحة الأولى للجريدة صورة عبد العظيم

فى الصندوق.. وموظف الجمرك اليونانى فاغراً فاه .. وما نشيت يونانى يقول :

فضيحة إسرائيلية !

وتنخفض الصحيفة فيظهر بابا دوبلو الذى كان يقرأ الصحيفة.. وأمامه بنايوتى .. يجلسان بالمقهى حول إحدى الموائد..

- بنايوتى مشيرا للصحيفة : فضيحة .. أكبر فضيحة !

ثم يشيح بيده فى غير اكتراث: دى دولة دى؟! دى عصابة!

- بابا دوبلو وهو يرشف كأسا من النبيذ : وعايز إيه؟

- بنايوتى: عيب يا بابا دوبلو!

- بابا دوبلو : أنا عايز أعيش !

- بنايوتى فى عتاب : تنسى مصر اللى ربتك ؟!

- بابا دوبلو داعكا إصبعيه فى تعبير عن النقود وهو يقول لبنايوتى: ممكن تفتكر؟!

فيدس بنايوتى يده فى جيبه .. وهو يتطلع فى ضيق إلى باب دوبلو ثم يخرج حزمة من أوراق النقد اليونانية.. ويدفع بها يد بابا دوبلو قائلا له : خذ ! فين سارة ؟!

يتناول بابا دوبلو حزمة الأوراق .. فلا يرى أنها كافية ..

فيجيبه بنايوتى: كله بثمنه يا بابا دوبلو ! فيضحك بابا دوبلو ضحكات المخمور.

* * *

فى الطريق إلى سارة

يقف العميد محمد على باب غرفة مكتبه وهو يودع ربيعا.. ويقول له: كنا نحب أن نكون معك! وأنا زى ما قلت لك:

الجزيرة اللى أنت رايحها وسط ما نقدرش نشتغل فيه بأشخاصنا.. ومع ذلك فعادل ومصطفى حيسافروا معك.. ولنا هناك أصدقاء كتير حيعاونوك .. شد حيلك يا ربيع!

ـ ربيع : أنا شاكر يا أفندم! وربنا معنا!

ـ العميد يمد يده مصافحا : مع السلامة!

ـ ربيع وهو ينصرف: الله يسلمك .. مصر الأول يا أفندم! يخرج ربيع من باب دار المخابرات المصرية.. وهى دار يونانية قديمة فى حى شعبى.. وعلى جانبى الطريق حوانيت يونانية.. تنبعث منها الأضواء .. وأمام بعض الدور يجلس بعض السكان.. رغم ضيق الطريق..

يصعد ربيع داخل سيارة فى المقعد الخلفى.. حيث يجلس بنايوتى.. بينما فى المقعد الأمامى عادل فى مقعد القيادة.. وبجواره مصطفى.. وتنطلق السيارة فى الطريق الشعبى..

ويتجه الجميع إلى شاطئ البحر.. ويستقلون زورقا.. يتجهون به إلى الجزيرة التى تقع فيها القلعة المعتقل بها الدكتور جابر..

ومن على البعد يبدو الجبل الصخرى بالجزيرة .. تتناثر فيه الدور الفقيرة داخل الصخور.. وينحدر من الجبل طريق ضيق متعرج بين

الصخور إلى مكان منعزل من الشاطئ .. يبدو موحشا.. وكأنه مكان لعمليات التهريب والإجرام..

يرسو الزورق البخارى على الشاطئ.. ويقف على سطحه بنايوتى وكرياكو.. متطلعين إلى الجبل..

ومن فوق الجبل نرى رجلا يقفز عدوا هابطا ومقبلا نحو الزورق.. وهو شاب فى نحو الثلاثين من عمره.. رفيع القامة .. طويل.. ضيق العينين.. من القبارصة العاملين مع المخابرات المصرية..

ـ بنايوتى متهللا ملتفتا لكرياكو: مخالى جاى آهو!

ثم يلتفت بنايوتى لكابينة الزورق وينادى على الكابتن ربيع.. فيخرج ربيع مودعا عادلا ومصطفى وقد ظلا منتظرين فى الكابينة..

ـ مصطفى : حنفضل منتظرين هنا فى اللنش يا ربيع .. تتصل بنا أولا بأول .

ـ عادل : شد حيلك يا ربيع !

ـ ربيع وهو ينصرف : اطمئنوا ربنا معنا .. ومصر فى عينينا يا أفندم!

يصل مخالى إلى الزورق ويصعد معه ربيع وبنايوتى وكرياكو إلى الجبل.. ويظهر ستيفانوس فى شباك داره متهلل الأسارير.. يرفع يده محييا .. فيرد عليه بنايوتى رافعا يده للتحية .. وينصرف استيفانوس من الشباك مختفيا..

ويبدو استيفانوس من رجال البحر الأشداء.. فى حوالى الخمسين.. له ذقن مرسلة.. عريض المنكبين .. مع حواجب كثيفة الشعر.. وهو أيضا مثل مخالى من القبارصة العاملين مع المخابرات المصرية..

يخرج استيفانوس من داره التى فى حضن الجبل.. ويقف على باب الدار.. باسطا ذراعيه.. مستقبلا بنايوتى ومن معه .

ـ استيفانوس : هيه بنايوتى!

ـ بنايوتى محتضنا استيفانوس: كيف حالك يا استيفانوس؟

ـ استيفانوس باليونانية: أهلا كرياكو!

ويقدم بنايوتى ربيعا إلى استيفانوس الذى يرحب به .. ويشير إلى باب داره قائلا: تفضلوا !

فيدخل ربيع وبنايوتى وكرياكو ومخالى .. ثم يغلق استيفانوس باب داره.. ويقوم استيفانوس معهم بواجب الضيافة.. وفى المساء يصطحب استيفانوس بنايوتى إلى حانة أنطونيو بالجزيرة..

وهى حانة قبرصية صغيرة .. بها بار وموائد متناثرة عليها شموع .. وبراميل خمور فى الأركان.. مع الأضواء الحمراء الخافتة.. ورواد المكان قلة من القبارصة.. وعدد من الجنود الإنجليز .. وبعض البحارة.. يصخبون مع فتيات قبرصيات .. وفى ركن من الحانة سلم صغير يؤدى إلى باب تغطيه ستارة سميكة.

وقد وقفت مطربة قبرصية تغنى يصاحبها عازف على الأوكرديون يمضى وراءها وهى تنتقل بين الموائد .. مع صيحات الإعجاب من الرواد وصخبهم ..

وتمر المطربة بمائدة يجلس عليها بنايوتى واستيفانوس فى ركن منعزل بالحانة .. وأمامهما قدحان من البراندى القبرصى.. وهما

يتطلعان في غضب إلى بحار من السلاح الإسرائيلى يغتصب فتاة قبرصية..

يلتفت بنايوتى إلى استيفانوس قائلا: متى نتخلص من العدو ؟!

فيرد عليه استيفانوس : لو ماكانش لهم قاعدة هنا.. ما كانش إسرائيل تحركت خطوة فى الجزيرة .

ـ بنايوتى رافعا كأسه : أفقيا!

ـ استيفانوس رافعا كأسه أيضا: أفقيا!

يشرب كل منهما كأسه.. ويبدو أن بنايوتى قد لفت نظره ما أثار انتباهه فيشير إلى استيفانوس: أهو ظهر أهو!

ويتطلع استيفانوس مع بنايوتى ناحية السلم: فرأيا موريس قد ظهر رافعا ستارة الباب.. وضابط إسرائيلى بملابسه العسكرية يهبط درجات السلم .. ويتبعه موريس .

ـ بنايوتى ساخرا فى همس : الإسرائيليون منتظرين.. عايزين جابر يبلغهم أسرار الصواريخ المصرية القاهر والظافر .. ذات الرءوس النووية.. وأماكن القواعد من أسوان للسلوم للسويس.

ـ استيفانوس: مش راخ يطولوا خاجة.. بس نعرف فين جابر هو وأخته الأول!

وينصرف موريس والضابط الإسرائيلى مختفيين فيشير بنايوتى على استيفانوس بالنهوض بهزة من رأسه.. فينهضان .. ويمضيان منصرفين خلف موريس والضباط.

***

صرخة فى قلعة الجبل

يخرج موريس من داره.. وهى دار صغيرة فى الجبل الصخرى .. وأمامها طريق يمضى بين الصخور .. وعلى الدار حراسة مشددة من يهود وقبارصة مدنيين..

يركب موريس سيارته وينطلق بها على الطريق الرئيسى.. بينما يقف استيفانوس فى طريق فرعى.. فوق موتوسيكل منتظرا فى تأهب .. وبمرور سيارة موريس ينطلق استيفانوس بالموتوسيكل خلفها..

ومن مكان مرتفع تظهر سيارة موريس متجهة نحو القلعة.. ثم تتوقف بالقرب من بابها.. ويهبط موريس ويتقدم من الباب..

فى هذه اللحظة كان استيفانوس قد وصل إلى بنايوتى الذى كان واقفا على الجبل.. وأخذا يراقبان موريس.. متطلعين إلى أسفل.. ويلتف استيفانوس لبنايوتى .. فيستوقف نظره شىء يثير انتباهه.. فيشير إلى بنايوتى قائلا: بص هناك!

فيلتفت بنايوتى إلى الجهة التى يشير إليها.. فى اتجاه باب القلعة..

فى هذه اللحظة كان عامل التليفزيون اليهودى.. يتطلع فى غرفته لشاشة التليفزيون .. وقد ظهر عليها موريس واقفا أمام الباب.. فيسحب العامل الزر .. فيرتفع باب القلعة .. ويدخل موريس القلعة.. ثم يهبط الباب خلفه .. وكان بنايوتى واستيفانوس فى تتبع لحركة فتح الباب وغلقه ..

وفى الداخل كان الدكتور جابر فى غرفته التى ليس بها منافذ .

وتضاء إضاءة كهربية مبهرة .. جالسا على المقعد بجوار الفراش .. وآثار التعذيب بادية عليه.. وقد طالت لحيته .. وصارت عيناه مقرحتين من تأثير الإضاءة المبهرة فضلا عن عدم النوم.. ويبدو شديد الانهيار .. منكس الرأس .. بينما أخته سارة تنتحب على الفراش وهى لا تزال بفستانها الأحمر الذى خرجت به من فندق أثينا .. وكانت ترتديه ليلة اختطافها..

يتطلع جابر إلى سارة وترتجف شفتاه ... وهو يقرر فى انهيار: خلاص.. أنا حأريحك! فتصرخ فيه سارة قائلة: لا يا جابر.. مصر يا جابر!

ـ جابر : سوف أقول كل شىء!

ـ سارة مندفعة إليه باكية ومتعلقة به: لا يا جابر!

احنا مش حنخون .. مش حنخون مصر أبدا.. مصر هى روحنا!

ـ جابر وهو زائغ البصر فى انهيار وارتجاف : مش قادر! مش قادر!

ـ سارة : قاوم يا جابر .. قاوم .. طول عمرك بطل..

خليك للنهاية علشان التاريخ يشهد لك!

ـ جابر : اتحملت كتير.. وكان ممكن أحتمل أكتر وأكتر .. لكن أنت .. لا ..لا.. ما أقدرش! ما أقدرش أشوفهم بينفذوا تهديدهم فيك.. لا ..لا!

يفاجأ جابر وسارة بصوت جدار الغرفة ينفتح .. فيتجمدان فى مكانهما .. ويحملقان فى فزع نحو الباب.. فإذا بموريس داخل

الغرفة وخلفه ليڤى.. ويغلق الجدار خلفهما.. ويتقدمان من سارة وجابر .. ويواجه موريس سارة.. وهى فزعة .. بينما يقف ليڤى خلف جابر.

ـ موريس متقدما نحو سارة: أنا صبرت كتير!

ـ سارة وهى تخطو للخلف: إدينى فرصة!

ـ موريس : عايز أنهى العملية وأفرغ لك..

ـ سارة : الليلة بس.. وبكره اعمل اللى أنت عايزه..

ـ موريس يتقدم أكثر نحو سارة : بقالى كتير مستنيك!

ـ سارة وهى تخطو للخلف: جابر ابتدى يقتنع ..

ـ موريس ملتفتا لجابر : مش باين!

ـ جابر صارخا وهو يهم بالاندفاع نحو موريس لكن ليڤى يكتفه: ابعد عنها !

ـ موريس متقدما من سارة: سارة! مش قادر استنى!

تخطو سارة للخلف أكثر فتتعثر فى الفراش وتقع فوقه.. فيميل موريس إليها على الفراش وهو يصرخ : مش قادر!

ويهم موريس بالانقضاض عليها وهى تصرخ فى فزع :
لا..لا..

* * *

لقاء الغريمين

تتحرك الرياح فى جنح الليل نشيطة فيهتز الفانوس المدلى من سقف الكابينة بالزورق البحرى.. بينما يجلس ربيع فى مواجهة عادل ومصطفى ..

ـ ربيع : بنايوتى يقول إن دخول القلعة مستحيل!

ـ عادل: ليه؟

ـ ربيع : محصنة تحصينا شديدا.. ومن يقرب منها يظهر على شاشة تليفزيون عندهم فى الداخل .. رادار يعنى ..

ـ مصطفى : وما العمل ؟

يستغرق الجميع فى التفكير.. ويبدو ربيع وقد استولى عليه تفكير عميق.. حتى يصل إلى خطة يتفق عليها مع عادل ومصطفى.. ويبدأ فى تنفيذها.. فيتوجه بنفسه إلى باب القلعة..

تظهر صورة ربيع على شاشة التليفزيون بالداخل.. وهو واقف على باب القلعة متأملا ما حوله .. فيراه عامل التليفزيون .. ويتأمل الصورة وهو جالس على مقعده.. وخلفه موريس الذى يرى ربيعا وقد ظهر على الشاشة .. فيلتفت العامل لموريس فى نظرة استفهام..

يتمتم موريس فى حقد وغضب : ربيع لسه عايش! ثم يلتفت إلى العامل ويأمره بفتح الباب بسرعة.. وينصرف موريس من غرفة العامل.. ويأخذ العامل فى سحب أحد المفاتيح..

ويذهب موريس إلى مدخل القلعة مستقبلا ربيعا :

ربيع! ابن حلال! أنا كنت متوقع إنك حتوصل لنا يا كابتن ! الحمد لله على سلامتك ! بالحضن يا ربيع بالحضن! فيتقدم منه ربيع فى حذر .. ويحتضنه موريس .. ممسكا بكتفيه.. وصلا إلى مهوى باب القلعة .. وعنده مباشرة يسأله موريس: فين أيام زمان يا ربيع ؟! فين ؟! ولكن ربيعا يرد عليه متسائلا عن سارة.. وفى هذه اللحظة يهبط الباب.. ويكاد يسقط فوق رأس ربيع.. لولا أن جذبه موريس للداخل.. فيسقط الباب مغلقا القلعة.. يمد ربيع بصره إلى الداخل.. فيرى سردابا ممتدا بعد المدخل.. بين جدارين صخريين.. يعلوه سقف منخفض بحيث يضطر طويل القامة إلى الانحناء داخل السرداب الذى يبدو فى ظلامه ضوء شاحب ينبعث من مصابيح كهربائية مثبتة فى السقف.

يتنهد ربيع فى ارتياح إذ تخلص من الموت.. ولكن يأخذه الحذر الشديد.. داعيا الله أن يوفقه فى حيلة لإخراج سارة وجابر من القلعة. فقد جاء ليؤدى دورا تمثيليا للقيام بتلك المحاولة.. مع التغلب على عواطفه بقدر المستطاع..

يستغرق موريس فى الضحك ساحبا ربيعا من يده داخل السرداب.. وهو يقول له: هو إحنا لحقنا نشوفك!

عايز تموت لنا على الباب؟!

ـ ربيع : لا على الباب ولا جوه!

فيتوقف موريس فى مفاجأة ويخاطب ربيعا بأسلوب جاد: خلصنى!

ـ ربيع : أنا لا لى فى الطور ولا لى فى الطحين!

ـ موريس: الطور مش عايز ينطق!

ـ ربيع : ذنبه على جنبه!

يمضى موريس متقدما ضاحكا فى سخرية.. ويتبعه ربيع متوسلا: إدينى سارة!

فيقاطعه موريس دون اكتراث: مش قبل ما يتكلم جابر عن أسرار الصواريخ المصرية ذات الرءوس النووية..

ـ ربيع : يتكلم ! لابد يتكلم!

يلتفت موريس لربيع.. وقد بلغا قاعدة سلم حجرى داخل الجدار الأيمن : كده نتفاهم!

ويضع موريس قدمه على أولى درجات السلم مائلا على ربيع وهو يقول: المغفل لو اتكلم فيه خمسة ملايين دولار علشانا.. نأخذها ونجدد أيام زمان الحلوة!

بس فى أمريكا.. فى شيكاغو.. مش فى مصر !

ـ ربيع : يا ريت يا أخى!

ـ موريس : مش عايز يفهم .

ـ ربيع : وسارة ذنبها إيه ؟!

ـ موريس : دماغها ناشفة زيه!

ـ ربيع : لكن..

فيقاطعه موريس وهما يصعدان على درجات السلم..

وربيع يتبعه : أنا مش حأتشنق عشانكم .. حبل المشنقة منتظرنى لو ما عرفتش أخليه يتكلم..

ـ ربيع مستنكرا : وهو أنا يرضينى كده؟!

ـ موريس : عندى تعليمات أنفذها.. يا أتشنق! يا الاعتراف من جابر!

ـ ربيع : نفذها!

يتوقف موريس عن الصعود ملتفتا لربيع فى تهديده: إذا ما أتكلمش جابر.. لازم أغتصب سارة قدام عينكم..

ـ ربيع فى فزع : لا.. لا! أنا متأكد وحأقنعه بأنه لازم يتكلم!

ثم يهتف ربيع بأعلى صوته صارخا: سارة! سارة عندما يخبره موريس بأنهما قد وصلا إلى الغرفة التى بها جابر وسارة..

يفتح موريس الباب والجدار الخاص بالغرفة.. وتكون المفاجأة .. إذ يرى جابراً مقيد اليدين خلف ظهره .. وقد شدت يده بسلسلة حديدية ربطت بحلقة حديدية مثبتة إلى جدار الحائط على يمين الفراش.. بحيث تستحيل عليه الحركة.. وآثار التعذيب بادية عليه.. وهو يتطلع أمامه مأخوذا بمفاجأة غير متوقعة ..

وتقف سارة منهارة.. وقد أخذتها المفاجأة أيضا.. وهى بجوار جابر.. تتطلع أمامها .. ويقف ربيع بين موريس وليفى داخل الغرفة أمام الجدار الذى بدأ يغلق.. ويشهر ليفى داخل الغرفة أمام الجدار الذى

بدأ يغلق.. ويشهر ليڤى مسدسه فى ظهر ربيع الذى أخذ يتمتم فى إشفاق: سارة!سارة! فترتجف شفتا سارة.. ويبدو أن المفاجأة قد عقدت لسانها.. ثم تنفرج شفتاها فى صوت تخنقه العبرات: ربيع !

يندفع كل من سارة وربيع تجاه الآخر.. ويلتقيان بالقرب من مؤخرة الفراش .. وتعانقه سارة منتحبة باكية.. ويبدو موريس فى المؤخرة وهو يجز على أسنانه فى حقد.. غير محتمل رؤية سارة يعانقها غيره .. حتى ولو كان زوجها ربيع.. فيندفع مقبلا على ربيع ويجذبه من كتفه فى عنف وحقد قائلا : مش كفاية ؟! ثم يدفعه إلى ليڤى طالبا منه أن يقيده من يديه.. بينما تتطلع سارة إلى موريس فى حقد قائلة له : أنا صبرى نفد منكم!

يأخذ ليڤى فى ربط السلسلة التى يقيد بها يدى ربيع خلف ظهره.. وتثبيتها فى الحلقة الحديدية المثبتة بالجدار على يسار الفراش.. بينما يلتفت جابر إلى ربيع مبتلعا ريقه فى صعوبة .. وقد بدا فخورا بنفسه رغم انهياره..

ـ جابر : ربيع .. أنا ماخنتش مصر يا ربيع !

استحملت .. استحملت كتير علشان وطنى!

كتير .. كتير!

ويقاوم جابر انفعال البكاء.. فى حين كان ربيع يجز على أسنانه من شدة الغيظ.. فيتابع جابر كلامه: ما تكلمتش يا ربيع ولا كلمة! فليتفت إليه ربيع.. فيحول جابر وجهه عنه إذ تخونه دموعه..

ينصرف ليڤى يعد أداء مهمته.. وموريس يقف بين جابر وربيع صائحا فى جابر : حتتكلم! ثم يتجه إلى سارة بنظرة مهددا وهو يقول لها: الفرصة اللى طلبتيها إديناها لك.. ما عدتش أصبر ولا ثانية.. هيتكلم دلوقت حالا.. يا...

فيندفع ربيع وجابر فى حركة خاطفة وهما كالخيل الملجمة .. فى صوت واحد مع جحوظ أعينهما:لا.. لا.. لا..

ثم يستدرك ربيع ويتمالك نفسه.. متابعا خطته.. ويلتفت إلى جابر: جابر.. سارة .. سارة يا جابر!

فيلتفت إليه جابر متحركاً محاولا التخلص من قيده وهو يقول : وبلدنا ؟ بلدنا يا ربيع ؟ أخون مين فيهم؟!

الخيار مر.. مر..

فتجيب سارة فى إصرار مشدودة القامة: أنا اخترت بلدى! ثم تواجه موريس فى عزم قائلة: بلدنا حتعيش رغم أنفكم .. حنكبر غصب عنكم.. باطلكم حيزول.. وحقنا حيرجع.. وحننتصر إن شاء الله يا خونة!

يمزق موريس فستان سارة فى حركة خاطفة.. فتحاول سارة أن تغطى الجزء البسيط الذى تعرى من صدرها.. وربيع يصرخ فى صدق: كفاية .. كفاية يا موريس!

ويلتفت إلى جابر متوسلا يستحثه : جابر حيتكلم .. لازم يتكلم جابر..

ـ جابر مترددا متلعثما مستسلما: خلاص .. أنا ..

ـ سارة : لا يا جابر .. أنت ماخنتش .. ومش حتخون مصر أبداً !

ثم تلتفت سارة إلى موريس وهو يمسك بها من كتفيها.. قائلة له في حقد وعنف: تقدروا تقتلونى أنا .. إنما أسرارنا لأ.. صواريخنا لأ.. مصر لأ.. يا خونة !

يدفع بها موريس إلى الفراش فى عنف .. وينقض عليها مستندا إلى راحتيه فوق الفراش .. متطلعا إلى جابر فى حقد.. فيصرخ ربيع فى جابر بأن يتكلم.. فيتجه جابر إلى موريس لاهثا مستسلما : حأتكلم .. حأقول كل حاجة!

ـ سارة : ليه يا جابر؟!

ـ ربيع : سارة معذورة يا موريس .. مش جايز جابر يتكلم.. وبعدين تقتلونا كلنا؟!

ـ سارة : أنا مش خايفة من الموت.. اقتلونى دلوقت ! لأ.. مصر لأ.. ١٨ مليون.. لأ.. أنا واحدة .. أموت .. لكن هم ملايين!

ـ ربيع : اسكتى يا سارة!

فتنهره سارة وهى مستنكرة فى شدة الغضب.. ولكن ربيع يدافع عن موقفه فيقول لها: أنا بأدافع عن عرضى.. وعن شرفى! فتنتحب سارة دافنة رأسها فى الفراش.. ويتجه ربيع إلى موريس بقوله : موريس .. جابر حيتكلم خلاص!

ـ موريس وهو يهم بالنهوض : براڤو دكتور جابر!

ثم يربت على كتف ربيع معلنا : اتفقنا!

ـ ربيع بشرط!

ـ موريس : من غير شرط..

ـ ربيع : يا سلام يا موريس .. عايزنا نخون ونموت كمان.. احنا بنشترى حياتنا يا أخى!

ده عمرنا.. عارف يعنى إيه العمر غالى؟!

ـ موريس : من غير شرط!

ـ ربيع : خلاص اعمل اللى أنت عايزه بقه!

ويتأمل موريس ربيعا.. باحثا عن الصدق فى حديثه.. ثم يلتفت إلى جابر.. فيبدو جابر شارداً شروداً مطلقا.. ويتحول موريس عن جابر ملتفتا إلى ربيع : عايز إيه؟!

ـ ربيع : ما تسلمش التقرير إلا لما تخرجنا من هنا! ونضمن أننا فى أمان ! اتفقنا؟!

ـ موريس : بشرط!

ـ ربيع : إيه تانى؟!

ـ موريس وقد لمعت فى ذهنه فكرة شريرة: سارة تفضل معنا!

فترفع سارة رأسها مستطلعة ما يدور بشأنها..

ـ ربيع : ليه ؟

ـ موريس : لحد ما أستلم التقرير.. تلتفت سارة إلى ربيع وهو يجز على أسنانه .. ثم يقرر ربيع.. اتفقنا!

فيضحك موريس مستغرقا فى الضحك .. بينما ربيع يشرد مفكرا . وكأنه اعتزم أمراً ..

يخرج موريس مسرعا ويتوجه إلى غرفة جولدمان.. ليخبره بما حدث.. وبما فكر فيه من حيلة ..

كان جولدمان يرقب الحديث الذى دار بين ربيع وجابر وموريس.. من خلال الفتحة السرية فى الجدار الفاصل بين غرفة مكتبه بالقلعة وغرفة جابر.. وبعد نهاية الحوار بينهم .. يتحول عن فتحة المراقبة قائلا هاى سير ؟

ويجلس ليفى إلى المائدة.. ويبدو أنه فى شك من أمر موريس.. الذى يقبل عليهما سعيدا بانتصاره وهو ينادى: مستر جولدمان! فيجيبه جولدمان فى ريبة:

يس (نعم) ؟!

ـ موريس : أخيرا نجحنا!

ـ ليفى محتشدا : ناوى تهربهم؟!

ـ موريس فى مظهر الذكى : وليه لأ ؟

ـ جولدمان مستنكرا محتدا : موريس!

فيميل موريس على جولدمان هامسا : حأهربهم على إسرائيل .. على تل أبيب مباشرة!..

يبدو الاهتمام على ليفى فينهض .. ويهتم جولدمان لذلك الخبر.. فيميل الثلاثة حول المائدة.. كل منهم على الآخر.. وذراعا موريس

تحيط بهما .. ويهمس فيهما موريس : حنحضر لهم فى الميناء العسكرى..وحيطمئنوا أنهم هربوا خلاص.. نأخذ منهم التقرير.. ويذهب بهم اللنش على إسرائيل!

يبدو جولدمان غير مقتنع وهو يقلب الأمر .. إذ يضحك ضحكات قصيرة متقطعة.

* * *

كمين على الطريق

يقف حارسان يهوديان يرتديان ملابس الميليشيا اليهودية.. على جانب السلم من ناحية مدخل السرداب.. يحملان بندقيتين سريعتى الطلقات .. وجابر هلال وربيع يهبطان درجات السلم بلا قيود.. وخلفهما يهبط حارسان آخران من الميليشيا.. يحملان بندقيتين موجهتين إلى ظهر جابر وربيع.. ويتقدم الجميع نحو باب السرداب .. حتى يخرجوا إلى الساحة خارج باب القلعة .. فيظهر جولدمان وليفى على الجانبين.. وقد شهر كل منهما مسدسه.. وظهر عليهما القلق ..

- جولدمان : جابر كتب التقارير؟!

- جابر وهو يخرج ورقة مطوية من جيبه: آهو التقرير!

- ليفى مأخوذا متعجبا: التقرير!

يختطف جولدمان الورقة من يد جابر وينشرها بين يديه.. وجابر يقول له: ما فيهاش غير رموز .. ما نفهمش منها حاجة!

- ليفى متطلعا للتقرير ثم لجابر: هو ده الاتفاق؟!

- جابر : سأفسر الرموز وأنا على المركب..

يعيد جولدمان التقرير لجابر وهو يتنهد فى غيظ وضيق ويأمر بالتحرك..

يمشى جابر هلال وربيع فى الاتجاه الذى مشى منه الحارسان المتقدمان.. ويمضى خلفهما الحارسان المتأخران.. يهبط الجميع إلى

الساحة القريبة.. من مكان القلعة المرتفع.. وكانت ثلاث سيارات فى انتظارهم بالساحة.. الأولى متقدمة.. يقف عندها موريس وبجواره سارة بملابسها مع تمزق على الكتف والصدر بسيط جدا..

والسيارة الثانية يتوجه إليها جولدمان وليڤى.. ويشرفان على صعود جابر وربيع فيها.. بالمقعد الخلفى فى حراسة الحراس الأربعة.. ثم يصعد جولدمان على مقعد الأيمن الأمامى .. ويصعد ليڤى على مقعد القيادة..

ويقفز الحراس الأربعة ببنادقهم إلى السيارة الچيب الثالثة .. التى يقودها خامس .

ويمضى الركب منحرفا على الطريق .. حيث يضيق الطريق بين مرتفعين كبيرين صخريين.. ويقبل الركب من بعيد تتقدمه سيارة موريس.. وما إن تقترب سيارة موريس من المنحنى الضيق .. حتى تبرز من المرتفعين فوهات رشاشات مصوبة فى اتجاه السيارة.. طلقات الرصاص تندفع إلى سيارة موريس مع قدوم سيارة جولدمان.. ويحاول موريس أن يتفادى الرصاص.. فقد خفض رأسه فى مستوى عجلة القيادة .. والرصاص يخترق زجاج السيارة الأمامى .. بينما سارة مختبئة فى أسفل السيارة تحت مقعدها..

تنحرف سيارة موريس متفادية الرصاص فى منحنى الطريق متجهة إلى دار موريس والسيارة المصرية تلف وتدور كالنحلة تضرب من كل الاتجاهات ... وسيارة جولدمان واقفة مع تبادل النيران المستمر

والمنهمر.. ويصاب جولدمان فى صدره الذى بدأ ينزف دماً.. وليڤى فى الدواسة مشهرا مسدسه ملتفتا إليه..

ويصرخ ليڤى فى دهشة غريبة : خاننا موريس عشان سارة! فيجيبه جولدمان وهو يلفظ آخر أنفاسه : اقتله !

ويسقط رأس جولدمان على تابلوه السيارة وهو يقول آخر كلمة : اقتله! وتأتى رصاصة تصيب الزجاج الأمامى للسيارة.. فيلتفت ليڤى مطلقا رصاصة من مسدسه.. ويسحب عادل رأسه من فوق المرتقى الصخرى .. فى حركة خاطفة.. وراء الصخر.. متفاديا الرصاصة..

وكان خلف الصخرة كرياكو وبجواره بنايوتى الذى يقول هامسا : فين جابر وربيع؟ فيجيبه كرياكو بأنه لم يتخايل بهما!

ويعاود بنايوتى وكرياكو الضرب.. كل منهما فى اتجاه مضاد لتضليل الإسرائيليين.. وهنا تظهر سيارة الميليشيا المكشوفة.. وقائدها جثة هامدة فوق عجلة القيادة .. وخلف السيارة الجيب يقف الحارسان يطلقان النار.. وثالث عند مقدمة السيارة مرتكز على ركبته مصوبا نيرانه .. ويناديه أحد الحارسين : كوهين شوف المعتقلين أحسن يهربوا..

فيسرع الجندى الذى كان مرتكزا عند مقدمة السيارة الجيب.. إلى سيارة جولدمان .. ويتطلع داخلها .. فى المقعد الخلفى.. وإذا به ينقلب على ظهره مرتطما رأسه بالصخر نتيجة لجذبه من قدمه .. فقد كان ربيع لا يزال تحت سيارة جولدمان.. وقد أمسك برجل الجندى

الذى وقع جثة هامدة والدم ينزف من رأسه.. وكان جابر بجوار ربيع تحت السيارة..

يمد ربيع رأسه خارج السيارة مستطلعا .. فتظهر رأس النقيب عادل من خلف الصخور يشير إلى ربيع بيده ليتقدم للأمام .. فينسحب ربيع فجأة من تحت السيارة مع مرور رصاصة تكاد تصيبه.. وكان عادل ومعه استيفانوس خلف الصخور ... واستيفانوس يحمل بندقية أوتوماتيكية.. فيشير له عادل نحو الحراس: غطى الناحية دى وأنا الناحية دى!..

ينهال الرصاص على الحراس فيسرعون بالاختباء ملتصقين بالصخور وهم يطلقون النار..

وتمتد يد عادل من بين الصخور لتسحب جابرا .. فيظهر جسده مندفعا فى حركة خاطفة نحو الصخور.. ويتوجه عادل نحو ربيع الذى ارتمى بجواره.. قائلا: ربيع حنسبقك على العربية خلف الجبل.. وأنت تشوف سارة .. خد مخالى معك.. هو يعرف بيت موريس..

– ربيع : المهم جابر! مع السلامة!

ربنا معكم!

يهم عادل وجابر بالانصراف فيستوقفهما ربيع هامسا:

استنونى نص ساعة بس.. وإذا اتأخرت ما تستنونيش..

امشوا أنتم .. مع السلامة!

وتظهر قاعدة الجبل من بعيد.. فى نهاية طريق جبلى وتقف سيارة بداخلها مصطفى منتظرا فى قلق على الطريق .. ويخرج مصطفى رأسه من السيارة متطلعا فيرى عادلا وجابرا مقبلين هابطين على الطريق عدوا خلف الصخور .. مع أصوات تبادل النيران وتطاير حبات الرمال الساخنة من الرصاصات الطائشة التى لا تصيب الأفراد أحيانا .

* * *

سارة في دار موريس

تجلس سارة على مقعد بغرفة نوم موريس .. وهى غرفة نوم بسيطة ذات طابع قبرصى .. ولها شباك يطل على صخور الجبل.. وكانت سارة فى حالة اضطراب.. ملتفتة إلى الشباك.. بينما موريس أمامها يخلع سترته ملقيا بها فوق الفراش..

ـ موريس : عشم إبليس فى الجنة.. أنت فاهمة إن ربيع حيخلص من إيدينا؟! زمانه هو وأخوك رجعوا للقلعة تانى! تعال أنت بقه!

ويتجه موريس إلى سارة.. وينقض عليها محاولا اغتصاب قبلة.. وسارة تحاول التخلص منه.. صارخة : لا يا موريس!

ـ موريس : مافيش قوة حتمنعنى ! مش كده يا روح قلبى؟!

ـ سارة : مش كده!

ـ موريس: صبرت كتير يا سارة!

ـ سارة : مش بالعافية! ادينى فرصة أصلح نفسى!

ـ موريس : عايزه إيه؟!

ـ سارة فى دلال مصطنع : عندك بيچامة؟!

ـ موريس مبتسما: آهو كده!

وينصرف موريس ليفتح الدولاب .. يخرج منه بيجامة ويلقى بها إلى سارة فتلتقطها..

ـ سارة مبتسمة : سيبنى بقى دقائق!

ـ موريس : مكسوفة؟!

ـ سارة في دلال وحياء مصطنع : طبعاً!

ينصرف موريس إلى باب .. وهو يقول لها : بسرعة!

فتجيبه سارة: دقايق يا موريس!

تغلق سارة الباب خلفه .. ثم تقف في حيرة شديدة لا تدرى ماذا تفعل.. وتدور بعينيها في الغرفة .. إلى أن تقع على شيء يثير اهتمامها في الفراش .. إنه جراب المسدس في الحزام قد تركه موريس على الفراش..

تمد سارة يدها تسحب الجراب وتخرج المسدس منه.. وتتجه إلى شباك الغرفة وهي تتأمل المسدس وتتمتم: سامحني يا رب! وتسدد فوهة المسدس إلى رأسها..

في نفس اللحظة تظهر رأس ربيع في الشباك يناديها همساً.. فتلتفت سارة إلى الشباك وتهتف : الله أكبر.. ربيع جوزى ! مش ممكن الدموع تسقط من عينيها؟!

ويقفز ربيع داخل الغرفة بينما سارة تدور بها الدنيا و يحتضنها ربيع بقوة.. وتتراخي يد سارة.. فيسقط المسدس من يدها.. ويلتقطه ربيع.. ويفتح باب الغرفة فجأة ويظهر عليه موريس.. وإذا بربيع يسدد المسدس نحو موريس بحركة خاطفة.. ولكن موريس ينسحب بحركة أسرع.. ويمضي ربيع مسرعا إلى الباب خلف موريس.

وعند خروج موريس من باب داره .. كان الحراس على جانبى الباب.. مع قدوم سيارة الحراسة .. الجيب .. وليس بها غير ليڤى .. يقف ليڤى أمام الباب ثم يخرج مسدسه .. ويهم بالنزول فيفاجأ بخروج موريس.. فيطلق عليه الرصاص وهو يتمتم: موريس خائن .. خائن!

يسقط موريس على الأرض ويلفظ آخر أنفاسه.. محاولا الإشارة بيده حتى يفهم ليڤى أن ربيعا فى الدار.. وينطق بآخر كلمة هى : ربيع! ثم ينكفئ على وجهه.. يتطلع ليڤى إلى الدار وهو يهبط من السيارة ويتقدم من الباب.. وإذا بصوت سيارة مندفعة خلفه .. فيلتفت ناحيتها على الطريق .. فيطلق ليڤى الرصاص عليها.. ولكن السيارة تنحرف فى المنحنى مختفية.. كان مخالى يقود تلك السيارة.. فيدور بها من خلف دار موريس.. ويهبط ربيع وسارة من الشباك.. مسرعين .. ويركبان السيارة.. بجوار مخالى.. وينطلق مخالى بالسيارة فى سرعة جنونية.. ويتطلع ربيع إلى ساعته؟ مخالى : بسرعة شوية يا مخالى! أحسن يمشوا ويسيبونا!

وتنطلق السيارة فى سرعة رهيبة .

* * *

علـى زورق الـنجـاة

يقف عادل ومصطفى فى كابينة زورق يرسو على شاطئ الجزيرة .. وكان بينهما جابر واقفا..

ـ جابر : طمئنونى على الشنطة ! الشنطة؟!

ـ عادل : كان فيها جرايد..

ـ جابر : أيوه .. لكن الورق اللى كان فيها راح فين ؟! الأسرار اللى كانت فيها؟!

ـ مصطفى : إحنا عملنا حسابنا للمفاجآت.. الشنطة اللى معاك كانت للتضليل.. أما شنطة الأسرار فنزلت مصر من جنيف بطريقة تانية.. مصرية ١٠٠٪ وسرية للغاية..

ـ د. جابر : الحمد لله.. ربنا حافظ مصر دايما ..

ـ عادل يتطلع لساعته: ربيع اتأخر قوى!

فى هذه اللحظة كانت سيارة ربيع تندفع وتمضى بسرعة رهيبة..

ويجلس جابر بينما يظل مصطفى وعادل واقفين فى قلق ويتطلع عادل لساعته مرة أخرى ويقول: ما فيش فايدة!

يخرج مصطفى إلى باب الكابينة ويفتحه ويطل منه جانبا.. ويصيح : دور واطلع بالزورق!

ـ جابر : كمان شوية !

ـ مصطفى ملتفتا إلى جابر: مش ممكن يا جابر!

ـ جابر متقدما من مصطفى : دقيقة واحدة كمان!

ـ مصطفى : كل اللى عملناه ينتهى فى ثانية لو انتظرنا أكثر من كده !

يجز جابر على أسنانه وهو يسمع صوت موتور الزورق يدور..

كان ربيع وسارة ومعهما مخالى فى شدة القلق خوفا من تحرك زورق النجاة..

وهم يرون الزروق يتحرك.. فتهتف سارة: بسرعة ! بسرعة! السيارة كانت مسرعة ولكن الزورق كان يبتعد.. وكان يقود الزورق استيفانوس الذى رفع يده محييا كرياكو وبنايوتى الواقفين على سطح الزورق.. رافعين أيديهما بالتحية له مع حركة الزورق فى بدايتها..

ويلتفت بنايوتى حوله على الشاطئ فيرى السيارة قادمة بسرعة فيهتف: آهم وصلوا!

يلتفت الجميع إلى الشاطئ.. وتكون السيارة قد وصلت إليه.. ويهبط منها ربيع وسارة على عجل .. ويندفعان عدوا على الطريق وخلفهما مخالى.. وبنايوتى على السطح يصيح: وقف يا استيفانوس!

يشرق وجه جابر بالفرحة هاتفا : وصلوا الحمد لله الحفيظ الستار الكريم!

ويندفع مصطفى إلى باب الكابينة يفتحه .. فيرى سارة وخلفها زوجها ربيع.. ويتنهد مصطفى فى ارتياح .. ويأمر استيافنوس بالعودة للشاطئ.. فيعود .. ويصعد إليه سارة وربيع ومخالى..

تندفع سارة إلى أخيها جابر تقبله فى جبينه وهى تقول : جابر

أخويا! ويتعانقان فى حب أخوى يؤثر القلوب غير مصدقين العودة لمصر مرة أخرى ويهتف مصطفى: هم دول المصريين اللى بنوا الأهرام ويهتف عادل: وروحهم فدا مصر!

ثم يمضى الزورق بين أمواج البحر.. وقد أدار مصطفى كاسيت لأغنية أم كلثوم : أنا إن قدر الإله مماتى ! ويسمع الصوت فى عرض البحر والأمواج تتلاطم بعضها فرحة بانتصار الحق وكأنها تشاركهم فرحتهم ..

* * *

عودة سعيدة

داخل طائرة مصرية.. تجلس سارة بجوار ربيع.. وفى المقعدين المجاورين العميد محمد حافظ قائد المخابرات المصرية .. وجابر خلفهما..

وفى طائرة أخرى كان عادل ومصطفى.. وتنطلق الطائرتان من مطار قبرص.. يزفهما صوت أم كلثوم: (أنا إن قدر الإله مماتى.. لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى) ويهتف قائد الطائرة الأولى :

يسعدنى أنا الكابتن عادل حسنى وطاقم الطائرة أن يرحبوا بالكابتن ربيع البنا وعروسه سارة هلال.. بعودتهما إلى القاهرة بعد تمضية شهر العسل! يميل ربيع على سارة وهو يربت على كتفها فى حنان بيده : شهر العسل ياه وينظر لساره التى تقول شهر عسل بدون إزعاج أما كان شهر عسل!

ويضحكان ويقبلها فى جبنيها وعندما تدخل الطائرتان المجال الجوى المصرى تكون فى استقبالهما طائرات حربية.. تحيط بهما .. حتى تهبطا فى مطار عسكرى خاص.. وتنزل الطائرات فى سرية تامة ..

بينما نرى فى المطار كبار رجال المخابرات المصرية فى عهد الزعيم عبد الناصر فى انتظارهم بعربات سوداء كبيرة مرسيدس موديل الستينات عليها علم الجمهورية العربية المتحدة يرفرف فى الهواء

ونسمع صوت نائب رئيس المخابرات الحمد الله رجالتنا وصلوا حمدا لله على السلامة مع صوت ..

أم كلثوم (أنا إن قدر الإله مماتى) ..

ونرى العلم المصرى يرفرف فى الهواء الطلق.

تمت بحمد الله

هذا الكتاب

قصة الصراع الرهيب بين الموساد والمخابرات المصرية أثناء حرب الاستنزاف عندما قام الموساد الإسرائيلى بخطف عالم ذرة مصرى من الطائرة القادمة من سويسرا إلى مدينة قبرص وتم حبسه فى قبو بسفارة إسرائيل بقبرص وقاموا بتوثيقه وتعذيبه بالكهرباء ليجبروه على الاعتراف عن أماكن وقواعد الصواريخ الظاهر والقاهر ذات الرءوس النووية وقواعد الطائرات السرية الموجودة تحت الأرض على امتداد جبهات القتال ، وعندما لم يعترف قاموا بخطف شقيقته المضيفة الجوية ومعها زوجها وهما فى شهر العسل باليونان بعد قطع تكييف الهواء وقطع الإنارة بالفندق الموجودين به ، ولكن عيون المخابرات المصرية كانت تتابعهم لحظة بلحظة وتركوا الحبل للموساد الإسرائيلى لكى يتصرف بحريته وظلت عيون المخابرات المصرية تتابع تحركاتهم للوصول الى مكان العالم المخطوف ، وقبل أن يغتالوه .. وقبل أن يغتصبوا شقيقته أمام عينيه فى القبو الموجود بالسفارة الإسرائيلية تمكنت المخابرات المصرية من الوصول الى مكانهم ، وبعد معركة شرسة قتل فيها جميع الإسرائيليين الموجودين تمكنت المخابرات المصرية من انقاذ العالم المخطوف وشقيقته والعودة بهما إلى أرض الوطن ...

الناشر